مقدمة

عرفت مدينة وهران مع نهاية القرن 18 م تطورات عدة وذلك بعد تحريرها من الغزو الاسباني الصليبي الذي دام قرابة ثلاثة قرون من (1492 م- 1792م).

لتستقل بعدها وهران وتدخل مرحلة جديدة , و المتمثلة في انتقالها الى العهد العثماني , لتصبح بعد ذلك عاصمة بايلك الغرب. وذلك بعد محاولات عدة لتحريرها من الإسبان من طرف العديد من البايات، الا ان تحريرها جاء على يد الباي محمد الكبير.

غير ان هذا الباي عند وصوله للحكم قام بأعمال عديدة وهامة خلدت اسمه ومجدته. وعلى رأس هذه الأعمال البارزة , تحرير وهران بعد إخضاع القبائل المتمردة على السلطة العثمانية والذي تتبع أحداثها ونقلها إلينا كاتبه الشهير المعروف بابن هطال التلمساني, وجمعها في كتابه المعنون بـــ:{ رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري }. وهذا ما سيتم التطرق اليه من خلال هذه الدراسة.

الأسباب الذاتية والموضوعية:

ارتبط البحث في هذا الموضوع بمجموعة من الاسباب , منها ما هو ذاتي, ومنها ما هو موضوعي يمكن ذكرها على الشكل التالي:

_ الرغبة الشخصية في دراسة هذا الموضوع من أجل الاطلاع والتعرف على هاته الشخصية المهمة في تاريخ الجزائر والتي تستحق الوقوف على دراستها, وتسليط الضوء عليها.

_ الرغبة في معرفة ما كان يحدث في تلك الفترة، أي خلال القرن 12 هـ| 18 م (خاصة وهران و الجنوب الصحراوي).

و الاسباب التي دفعت بالباي للتوجه اليها.

_ التعرف على علاقة الباي مع السلطة المركزية , على المستوى المحلي والخارجي.

ومن خلال ما تم الاطلاع عليه , يبدو ان الموضوع يحتاج الى بحوث ودراسات أخرى . وهذا الأمر الذي دفعنا الى الغوص أكثر ودراسة هذا الموضوع.

_ توضيح اللبس الذي يقع فيه كثيرون من غير الدارسين , من الخلط بين الداي محمد بكداش و الباي محمد الكبير. فكلاهما نفس الاسم , وكلاهما تركي , كما أن كليهما حرر وهران من قبضة الإسبان, إلا أن الثاني الباي محمد الكبير فتحها الله على يديه فتحا مبينا.

إشكالية الموضوع

من خلال ما تم ذكره من الأوضاع التي كانت تسود الجزائر آنذاك في عهد الباي محمد الكبير خلال ق 12 هـ | 18 م سواء محليا والمتمثلة في قضيتين:

القضية الأولى: رحلته الجهادية الى الجنوب الصحراوي.

القضية الثانية: التحرير النهائي لوهران.

ومن هذا المنطلق ممكن طرح الإشكال التالي:

- ماهي الاسباب التي دفعت الباي محمد الكبير للتوجه الى الجنوب الصحراوي الجزائري؟
- ماهي الآثار التي ترتبت عن تلك الرحلة؟

والإشكالية المطروحة يتفرع عنها العديد من التساؤلات، يمكن طرحها على الشكل التالي:

- من هو الباي محمد الكبير؟
- و ماهي أهم أعماله و إنجازاته؟
- وكيف كانت علاقته على المستوى المحلي و الخارجي؟

خطة البحث:

وللإجابة على تلك الإشكالية و التساؤلات المطروحة اتبعنا الخطة التالية:

- حيث اعتمدنا على خطة مكونة من ثلاثة فصول. وقسمنا كل فصل إلى مبحثين، قبل كل هذا مدخل عرفنا فيه بالمؤلف الكتاب.
- ومنه تناولنا في الفصل الأول : الباي محمد الكبير ورحلته الجهادية إلى الجنوب الصحراوي.

_ عرفنا فيه بشخصية الباي و أيضا مسار رحلته الى الجنوب الصحراوي الجزائري منه الانطلاق إلى الفصول الذي يمثل محور دراستنا.

- أما الفصل الثاني: جاء تحت عنوان سياسة الباي محمد الكبير في تنظيم بايلكه إضافة الى التطرق لمختلف العلاقات التي ربطته خارج الجزائر.
- أما الفصل الثالث و الأخير: فقد جاء بعنوان أعمال وإنجازات الباي ,والذي خصصنا فيه بحثا يتحدث عن فتح وهران والذي يعتبر أهم إنجاز عسكري قام به الباي.

وفي الأخير خاتمة.

المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع:

من اجل الوصول الى الحقيقة التاريخية بشكل دقيق ومفصل اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي, وذلك من خلال وصف شخصية الباي محمد الكبير و وصف أهم أعماله في كافة الجوانب و المجالات : عمرانيا, اقتصاديا, ثقافيا وعسكريا.
وكذلك وصف الأوضاع السائدة في الجنوب الصحراوي من خلال الرحلة التي قام بها للمؤلف أحمد لن هطال التلمساني.

أهم المصادر و المراجع المعتمدة في دراستنا لهذا الموضوع:

لقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر, المراجع, المجلات, و الرسائل الجامعية, ومن اهمها نذكر:

1. رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري لكاتبها: ابن هطال التلمساني. والذي تتبع فيها غزوات الباي محمد الكبير لقبائل الجنوب الصحراوي, يعد هذا العمل من الأعمال التاريخية المهمة و المخلدة في لسيرة الباي. والذي أمر كاتبه الشهير ابن هطال التلمساني بتسجيل احداث هذه الرحلة.
2. كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني للمؤلف أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون الراشدي. حيث يمكن تقييم الموضوعات التي تطرق اليها هذا المؤلف الى موضوعات تناول فيها الفتح الأول لوهران على يد محمد بكداش و الفتح الثاني على يد محمد الكبير . و الذي يهمنا في هذا الكتاب معرفة الجانب العسكري من شخصية هذا الاخير, والتي دعمت دراستنا.
3. كتاب دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني , الذي يعتبر من المصادر التاريخية المهمة في دراسة تلك الفترة. خاصة مدينة وهران, وحيث يعتبر هذا المصدر مهم في دراسة شخصية الباي محمد الكبير.
4. كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر لـــ آغا بن عودة المزاري. والذي يعدمن بين المصادر المهمة وايضا تحدث فيه عن الباي محمد الكبير, ولقد كان من بين الذين عايشوا تلك الفترة.

اما من المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر منها:

1. كتاب " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492|1792م ". الذي يتحدث عن الحروب التي دارت بين تلك الأطراف , وأيضا يتحدث عن التحرير النهائي لوهران.

2. كتاب " الجزائر في ادبيات الرحلة و الأسر خلال العهد العثماني. مذكرات تيدنا أنموذجا للمؤلف عميراوي أحميدة, الذي نقل لنا العديد من التفاصيل حول حياة الباي محمد الكبير لأن تيدنا كان يعتبر وزير في بلاط الباي محمد الكبير.

صعوبات البحث:

- لا يخلو اي بحث من اي صعوبات, فأي باحث يكون مقبل على إعداد بحث أكاديمي, تواجهه مجموعة من الصعوبات ومنها التي واجهتنا كباحثين.
- واجهنا في البداية صعوبة الوصول الى مصدر ابن هطال التلمساني { رحلة الباي محمد الكبير من الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي }.
- فكثفنا الاتصالات ببعض الاساتذة في بعض الولايات حتى كلفت بالحصول على نسخة من طرف الاستاذ بالصديق عبد الكريم. إلا ان النسخة لم تكن ورقية بل مرسلة عن طريق البريد الالكتروني وهنا واجهتنا عقبة صعوبة تصفح الكتاب , لأن الكثير من الصور لم تكن واضحة.
- حتى اهتدينا اخيرا الى طلب الكتاب من دار النشر مباشرة , و أرسل إلينا عبر الخطوط الجوية الاردنية.
- صعوبة الوصول الى بعض المصادر المهمة مثل كتاب " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية " للمؤلف : الدحاوي ابن زرفة.
- التشابك والتداخل في المعلومات، الأمر الذي خلق صعوبة في طرحها.
- صعوبة التنقل الى المكتبات البعيدة.
- وايضا صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية.

الدراسات السابقة:

بالرغم من ان موضوع أعمال الباي محمد الكبير من خلال كتاب " رحلة الباي محمد الكبير من الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي " خلال أواخر العهد العثماني في الفترة 12 هـ | 18 م. قد تناوله باحثون من قبل , غير ان ذلك لم يمنعنا من الولوج ودراسة هذا الموضوع, والذي حاولنا ان نضيف فيه شيئا , إما في الطرح أو الشكل أو في إعطاء قراءة جديدة للمراجع و المصادر التاريخية.

اما بالنسبة للدراسات التي تطرقت الى الموضوع نذكر منها :

- دراسة في جامعة محمد بوضياف – المسيلة – جاءت تحت عنوان: " الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي خلال القرن 12 هـ | 18م. (دراسة مقارنة). مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر من إعداد الطالبة " هجيرة بن عامر " السنة الجامعية 2017|2018م.

- " أوضاع بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير (1779|1799م) (1194|1213هـ). " .مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر, من جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة -.

من إعداد الطالبة: قوادري نسيمة و قوادري فوزية . السنة الجامعية: 2017|2018م.

- " تحرير وهران 1792م " مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر , من جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة -. من إعداد الطالبة: خداشي حورية و صحراوي فتيحة. السنة الجامعية: 2017|2018م.

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الجنوب الصحراوي خلال فترة حكم الباي محمد الكبير

المبحث الأول: التعريف بالباي محمد الكبير

المطلب الأول: مولده و نشأته

المطلب الثاني: أوصافه و أخلاقه

المطلب الثالث: ظروف وصوله إلى الحكم

المبحث الثاني: مسار رحلة الباي محمد الكبير (المنطلق إلى الوصول)

المطلب الأول: منطلق الرحلة

المطلب الثاني: أبرز مناطق العبور في الرحلة

المطلب الثالث: نقطة الوصول (الأغواط مكان التمرد)

المبحث الأول: التعريف بالباي محمد الكبير.

المطلب الأول: مولده و نشأته.

هو محمد بن محمد الكردي و يسميه العرب في الجهة الغربية بمحمد الأكحل[1]، و يكنى أيضا بأبو الفتوحات و أبو النصر، أبو المواهب، أبو الربيع، أبو الفتح لقب بالكبير إكراما له عندما فتحت مدينة وهران على يده.[2]

والده كان من أشراف المدينة محمد بن عيسى المداني و أبوه أبو إسحاق الحاج بن إبراهيم الكردي كان هذا الأخير خليفة على مليانة[3]، ثم ارتقى و عين بايا على مدينة التيطري[4]و أحوازها.[5]

توفي أبوه بمدينة معسكر[6] و دفن بها بعد أن بقي في الحكم مدة تسعة أعوام، تاركا أمور عائلته لصديقه إبراهيم المليانى.[7]

أما أمه هي جارية اسمها زائدة أهداها لوالده مولاي إسماعيل[8]، سلطان المغرب الأقصى.

---

[1] الأكحل: هو لقب أطلق على الباي محمد الكبير منذ الصغر و ذلك نظرا لأنه كان شديد السمرة، أنظر: أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 16.

[2] أحمد بن هطال التلمساني، مصدر نفسه، ص 16.

[3] مليانة: تبعد حوالي مائة كيلومتر عن مدينة الجزائر، و تقع في سفح جبل زكار الغني بالمناجم، و لقد كانت في العهد العثماني تابعة لبايلك الغرب، و قبل الاحتلال ضمت إلى دار السلطان، أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 96.

كما زار المدينة الرحالة بن بطوطة في القرن 14م و أقام بها عشرة أيام دون أن يعطي تفاصيل وصفية للمدينة، أنظر: إبراهيم نغلي، تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، ج ، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، العدد 20، جوان، 2018، ص 116.

[4] بايلك تيطري: عاصمته المدية، و باي التيطري هو أول باي في نظام التشريفات، لكنه أقلهم شأنا من حيث الأهمية السياسية و الاقتصادية التي تكسبها المنطقة التابعة له بالرغم من فخامة حرسه و أعلامه السبع، أنظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج 4، د.ط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 293.

[4] بايلك تيطري: عاصمته المدية، و باي التيطري هو أول باي في نظام التشريفات، لكنه أقلهم شأنا من حيث الأهمية السياسية و الاقتصادية التي تكسبها المنطقة التابعة له بالرغم من فخامة حرسه و أعلامه السبع، أنظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج 4، د.ط، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 293.

[5] Gorguros, « notice sur le bey d’oran mohammed elkebir »revue africaine , vole n°1, 1856, p 404.

[6] معسكر هي مدينة تشرف على سهول اغريس، كانت عاصمة لبايلك الغرب قبل أن يتم استرجاع وهران، سكانها هم من الأتراك و العرب و البربر و فيهم الكثير من الكراغلة، أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سبق ذكره، ص 59.

[7] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 140.

[8] السلطان مولاي إسماعيل (1672- 1727) بويع بعد أن توفي أخوه مولاي الرشيد، حاصر كل من فأس و مراكش، حر الثغور المحتلة، كما اعتنى بالتشييد و العمران و قد كانت لاه علاقات مع أوروبا و الدولة العثمانية في الجزائر، أنظر: محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075ه. 1311ه/1664 . 1894م) دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 1977، ص 72.

و لما توسّم إبراهيم باي في محمد الكبير نشاطا متزايدا و شجاعة و ذكاء أراد أن يوطد العلاقة بينه و بين الباي، فأصهر إليه و زوجه ابنته، و لما ارتقى إبراهيم و عين على الإيالة الغربية أخذ معه صهره محمد الكبير و عينه قائدا على قليتة سنة (1178ه/ 1775م) و أشركه في أعمال الإدارة.[1]

و من أشهر البايات الذي اشتهر و كان صالحا ورعا، هو عثمان الكردي و هو والد محمد الكبير باي وهران.[2]

الثاني المطلب: أوصافه و أخلاقه

كان الباي محمد الكبير رجلا حسيما بالتجدير أسمر اللون لا بالطويل و لا بالقصير[3]، مريوع الفذ[4] محبا للعلماء و الصلحاء و النبلاء،و الأدباء و الشجعان و الفضلاء، قريب الغضب، سريع الرضا، شديد الحزم و الأوامر و الإمضاء، كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الترحال و الإسر[5]، فلقد عرفت عنه الصفات الحسنة التي تخول إليه أن يكون بايا عادلا، كان الباي محمد الكبير من أهل البلاغة و االلسان الفصيح فهو يعتبر ثاني ملوك العثمانية[6].

حيث وصفه سيدنا الذي كان وزيرا له في مذكرته حيث قال « أنه الشيخ الحاكم الجمبل ذو اللحية البضاء التي شيمها بالمرمر المصقول، و الدال على ذلك أنه تلقاه بواد كبير، و اشتهر بالحزم و الانصاف[7] و يشتهر بأعماله الخيرية و منشآته العمانية».

و كان صيدا ماهرا لذلك نجد مولعا بتربية البيزان و الصقور، قال ابن هطال التلمساني في نص الرحلة « و قد اجتمع عنده من الطيور الحسان المختلفة الأشكال و الألوان ما لم يجتمع عندج غيره من الملوك، فكانت ترد عليه من كل مكان فيقبلها و يجازي عليها الجزاء الكبير، الذي أوجب جلبها فلما كثرت عنده صار يختار العوارم و يقدمها و بفضلها على غيرها»[8].

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 18.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث الجزائر المدية مليانة في موسمها الألفي 1360- 1370ه/1971م، ط 1، شركة دار الأمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص 347.

[3] محمد بن يوسف الزيانين مصدر سبق ذكره، ص 199.

[4] أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 30.

[5] الأغابن عودة الزياني، مصدر سبق ذكره، ص 290.

[6] بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 199.

[7] عميراوي احميدي، مرجع سبق ذكره، ص 91.

[8] أحمد هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 30، ص 31.

و كان كذلك الباي محمد بن عثمان كثير الغزو و على أهل الصحراء دائم الترحال و الإسر[1]، فقد غزا الأغواط، الشلالة و عين ماضي، و بني سناسن، و أدب العصاة و نظم الأمور، و أنجز عدة أعمال إدارية و عمرانية و ثقافية[2]، و الشيء الذي يجب التأكيد عليه هو انعدام التعصب لدى هذا الباي.[3]

و من الصفات التي وسم بها ابن زرفة الدحاوي ممدوحه الباي محمد بن عثمان الكبير انتسابه إلى المجد و انتساب المجد إليه، فمجده قد سما على كل الملوك، و أفعاله و أقواله إنما تهدف إلى تحقيق أمجاد جديدة تضاف إلى الأمجاد التليدة التي حققها أجداده من قبل، فهو قد ورث المجد أبا عن جد فارتفع على كل الملوك نتيجة ما حققه من نصر و عز بوهران التي تشهد له بالمجد و الرفعة، و من ذلك قول ابن زرفة مادحا الباي محمد الكبير:

هُمُ القَومُ يُشفَى من مناهل رَاحِهِم لذيذُ المعاني و السَّجايا تتأثرُ
لهم يشتَاقُها كل كَّابرَ فَتَسمُوا عليه كَالدَرَارِي ظَوَاهِرُ
ولاسيما شَهمُ الملوك مُحَمَدُ و نَاظِمُ سَمطِ العالمين المَصابِرُ
حليف النَّدَا و المَجدِ كاشف غَمَةٍ يَدا غَمَراتِ المَوتِ ثُمَ هو زَائِرُ[4]

و كذلك قام ابن سحنون الراشدي مدح الباي محمد الكبير في كتابه الثغر الجماني و ذلك في قوله: « إنما كان قصده – ثبت الله عزمه- تطهير مواطن حكمه، و أركان إيالته من خبث الشرك، و حسم عروق الكفر منها، حتى لا يجاوره دين غير دين نبيه المختار صلى الله عليه و سلم آناء الليل و أطراف النهار»[5].

و من هنا نلاحظ أن ابن سحنون مدح الباي كثيرا بصفات الدين الذي على من شأنه.

و قد مدح ابن سحنون الراشدي الباي محمد الكبير بالنجدة و الإغاثة في قوله « و قد كان له في سنى القحط و المسغبة من الإحسان ما لا يشق أحد في غباره و لا يصلآثاره ولولاه

---

[1] آغابن عودة المزاري، مصدر سبق ذكره، ص 290.

[2] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويلية مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويلية المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002، ص 64.

[3] عميراوي احميدة، المرجع السابق، ص 90.

[4] بو جلال قدور: مظاهر التقرب و القطيعة بين العلماء و السلطة العثمانية في بالك الغرب فترة الدايات (1671- 1830م)، ص 245، ص 246.

[5] سحنون الراشدي، مصدر سبق ذكره، ص 307.

لهلكت الأجناس، و بلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس، فإنه أعان الخلائق بالسلف العام، و التصدق و الاطعام»[1].

و من القيم و الصفات التي تميز بها الباي محمد الكبير هي صفة الصفح و السماح و الكرم و الإحسان في قوله: «... و أما حلمه فأمر شهير لا يحتاج في إثباته إلى سفير، و قد جرب من خلفه أنه ما عاقب أحدا في حق أو غير إلا صار بعد ذلك يحنوا عليه و يحسن إليه و أنه متى استعتبه أحد أعتبه».[2]

فابن سحنون يمجد فيه صفة الصفح و السماح، و يشير إلى أن الباي كان أكثر الحكام لينا و سهولة مع رعيته، فمن أخلاقه العظيمة كثرة عفوه عن المذنبين و تجاوزه عن الساعة المسيئين بدليل ما ذكره.[3]

فلا يختلف اثنان حول ما احتله الباي محمد بن عثمان الكبير من شهرة كبرى في فترة حكمه و تقلده بايا على الناحية الغربية، سواء على مستوى ازدهار بايلكه أو من أحاط به من الشعراء و العلماء أو ما قيل فيه من شعر.[4]

و كذلك من مدح أبي راس الناصري للباي محمد بن عثمان قوله في كتاب عجائب الأسفار و لطائف الأخبار:

فالدنيا ألبست الهناء بطلعته رشيدها الثاني جاءت به للعلم

عم بإحسانه بدوا و حاضرها كالغيث للهضبات يروي و الأكم[5]

و الغريب في ألأمر أن صالح باي[6] رغم المدة الطويلة التي حكمها لم يحظ بمؤرخ يشيد بأعماله و يمجد أيضا بطولاته مثلما حظي محمد الكبير باي الغرب و هو معاصر له حظي بكثير من اهتمام الكتاب و المؤرخين، ولعل ذلك يرجع إلى تلك النهاية المأساوية التي انتهت

---

[1] سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص 135.

[2] سحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص 141.

[3] بو جلال قدور، مرجع سبق ذكره، ص 238.

[4] صالح فركوس، الباي محمد الكبير و بعثت الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري، الثقافة، العدد 71، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، سبتمبر، أكتوبر، 1982، ص 20.

[5] محمد أبو راس الناصر المعسكري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، ت: محمد غانم ج1، د.ط، المركز الوطني للبحث في الأنتروبيولوجيا و الاجتماعية و الثقافية، وهران، 2005، ص 80.

[6] صالح باي (1771- 1792م) لقد حكم بايلك قسنطينة كغيره من مقاطعات الجزائر أواخر العهد العثماني حكاما منهم من تميز بحسن السلوك، و كفاءة التسيير، فحاول المحافظة على مصالح الدولة و التكفل برعاية السكان و يعد صالح باي من أشهر بايات قسنطسنة، عرف بسداد الرأي و حسن التسيير و الاعتناء بشؤون الرعية، أنظر: معمر، العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671- 1830م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 129.

بها حياته[1] و قد قال محمد أبو راس الجزائري في كتابه فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته: «..و كنت – مرة - قصدت وهران وافدا على حضرة من ناب في مدحه لسان الحال عن لسان المقال، ذي المقام الذي اطلعت أزهاره غمائم جوده، الملك الأصيل الذي كرم منه الإجمال و التفصيل، الرفيع الشأن، السيد محمد باي ابن عثمان...المتفل بحفظ النفوس و الأموال...الحافل العادل، الفاضل الكافل، الكامل الأصيل...».[2]

المطلب الثالث: ظروف وصوله للحكم.

تولى محمد الأكحل بن عثمان الكبير الكردي بايلك الغرب عام 1778م بعد موت الباي خليل، و استقر بمدينة معسكر بدلا من مستغانم[3] أي تولاها سنة اثنتين وتسعين و مائة ألف[4]، كان أبوه مرتبطا بعرى الصداقة مع أبي إسحاق إبراهيم المليانى، و كان هذا الأخير قائدا على مليانة[5]، و جاء في كتاب الثغر الجماني: «..ثم لم قتل ولّى مكانه أمرة تيطري فكفل أولاده و جزاهم عن إحسان أبيهم إليه و تزويجه إياه بمكفولته أم أولاده الشهيرة...، فولاه قيادة فليتة سنة ثمان و سبعين، وهي أجل ما يتولاه القواد بعد خلافة الأمرة فوليها ثلاثة سنين أظهر فيها مجده»[6].

و في أوائل هذه السنة 1189ه توفي إبراهيم باي فطلبت الرعية من الداي أن يعين مكانه محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية و كاد الداي ينفذ رغبة الرعية لولا تعرض أحد الأغنياء – اسمه الحاج خليل- لابتياع هذا المنصب من الداي بثمن باهظ وضع في خزانة مال الدولة حسبما جرت به العادة آنذاك، و هكذا بقي محمد يشغل منصب خليفة، مترقب فرصة متاحة فيرتقي إلى مرتبة باي[7]، و قد كان يعرف الحاج خليل عند الناس بالباي خليل و كان لا يحب الأولياء، و لا غيرهم، توفي بتلمسان سنة (1192ه)، فاستجاب الداي لرغبة الرعية و عين

---

[1] ناصر الدين سعيد ولي، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط م 2، دار البصائر الجزائر، 2008، ص 261.

[2] محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، حياة أبي راس الذاتية و العلمية، محمد بن عبد الكريم الجزائري، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيغود يوسف، 1986، ص 100.

[3] يحي بو عزيز، مدينة وهران...، ص 59.

[4] أغاين عودة المزاري، المصدر السابق، ص 290.

[5] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 17.

[6] سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 125.

[7] أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 18.

محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية[1]، ثم ارتقى باي معسكر و ذلك سنة 1780م[2]، ثم لما تولى محمد باشا على الجزائر كان يميل إلى محمد باي الكردي حاكم معسكر، لمتانة دينه و استقامة أحواله[3]، فهو ثاني ملوك العثمانية.[4]

و قد استمر في حكم بايلك الغرب عشرين عاما تقريبا.[5]

المبحث الثاني : مسار رحلة الباي محمد الكبير (المنطلق إلى الوصول)

الطلب الاول : منطلق الرحلة : عادة ما تختلف دوافع القيام بالرحلات ، فهناك الدافع الديني والدافع العلمي والدافع الثقافي والدافع الحربي والاقتصادي والسياسي والسياحي ... ولكل نوع طبيعته حسب الإطار الذي تمت فيه هذه الرحلة أو تلك .فيكون النقل للوقائع التي يصادفها الرحالة في طابع تسجيلي توثيقي [6] و إذا كانت شخصية ابن هطال هامة ثقافيا فإن موضوعه هام من عدة جوانب فإن الرحلة تتضمن أخبارا جغرافية إجتماعية سياسية وعسكرية وأدبية لايستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرنين الماضيين [7] وتم تقييد أوراق الكتاب خلال فترة الرحلة الممتدة من يوم الخروج من معسكر يوم الخميس 9 ربيع الأول 1119 ه / 19 يناير 1785 م [8] وذلك كله تلبية لباي وهران محمد الكبير ونزولا عند رغبته وتقربا بهذا الكتاب إليه[9] مدينة معسكر أقل قيمة من مدينة تلمسان . وعندما كانت وهران في قبظة الاسبانيين كانت معسكر هي مقر الباي

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني، المصدر نفسه، ص 18.

[2] مولاي بالحميسي، الجزائر، المصدر السابق، ص 151.

[3] مسلم عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، ج 1، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الإسكندرية ، 1903، ص 73.

[4] يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 199.

[5] يحي بو عزيز، مرجع سابق، ص 64.

[6] شمسية غربي ، من التراث الجزائري ، الكتابة الرحالية خلال الفترة العثمانية ، الالوكة ، 2017/10/29 م 1439/2/8 ه ، 21 جوان 2019 11:41

[7] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ، ص11

[8] بن عتو بلبراوات ، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري ، الحوار المتوسطي ، جامعة بلعباس ، العدد 3-4

[9] ابن هطال تلمساني ، مصدر سابق ص107

وكانت المقاطعة عندئذ غنية وشاع الترف في معسكر، يظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها[1] لتصبح بذلك المدينة الرمز ، التي منها انطلق منها محمد الكبير غازيا وعاد إليها غانما [2] وهي تعتبر أهم غزواته التي قام بها داخل البلاد هي غزوة الجنوب الصحراوي الجزائري التي جهز لها جيشا عرمرما و نزح به من معسكر [3] عاصمة بايلك الغرب وقتذاك ، ويمكن اعادة الصياغة بطريقة مبسطة ومسترسلة ، وبمنهجية تعتمد التركيز على الحملة العسكرية التي قادها الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري [4] وجعل النصر دائما خلفه وأمامه وفي جهة القبلة ورأى أنها ذات بلدان كثيرة ، وأعراب راحلة ومقيمة . إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة .ولم يكن منها لملك مصلحة ولا منفعة ، كأنها أمة أبقت من أهلها أو حرة نشزت من بعلها ، فشمر لها عن ساعد الجد ، عازما على رد مابها من النفار والصد فجمع جموعه وقواده ، وعسكره فخرج " المعسكر " التي هي محل وطنه [5]

المطلب الثاني : أبرز مناطق العبور في الرحلة

هذا التوجه من الباي نحو الصحراء الجزائرية إنما كان على رغبة بسط السلطة على مناطق خارجة عن الحكم .

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق ، ص 97

[2] الطاهر حسيني الرحلة الجزائرية في العهد العثماني "بناؤها الفني وأنواعها و حصائصها " مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم والادب العربي ، جامعة قاصيدي مرباح ، ورقلة ، 2014/2013 ص261

[3] ابن هطال تلمساني مصدر سابق ، ص19

[4] بن عتو بلبراوات ،مرجع سابق / ص107

[5] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ،ص35. 36

والحقيقة أن وضعية تلك المناطق في الصحراء الجزائرية أنذاك كانت مابين راحل و مقيم ، استدعت هذا التحرك العسكري ، ومن ثم ستكون الطبيعة العسكرية هي المهيمنة على هذه الرحلة حيث ينطلق الرحالة في سرد الأماكن وأسماء المناطق المكونة لخارطة الرحلة التي عبرها الباي محمد الكبير

. دير الكاف : بالرغم أنها لم تذكر إلا بالاسم إلا أنها تعتبر هامة في الرحلة ، وتأخذ أهميتها من أنها المنطقة التي اكتشفت فيها خطت الباي محمد الكبير في هذه الغزوة والتي بينت على تقسيم الجيش إلى قسمين . قسم يكمل المسير وقسم اخر يبقى ليكون حاميا لظهر الأول [1] وهذا ما قاله ابن هطال التلمساني في كتابه "... وفي يوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على العمور ..." [2] والتي بينها وبين البيضاء ثمانية ساعات

البيضاء : .. وهذا المنزل ذو آبار كثيرة وهي سهلة التناول منها ما يكون ماؤها على قامتين ، ومنها من يكون على أقل أو أكثر بقليل إلا أنها أطيب من بعض . فاستقت الناس وعلفت دوابها[3] والتي ساعدت المحلة على الراحة من أجل إكمال الرحلة ونفس ما قيل عن هذه المنطقة يقال على " اللفيعة " [4] فنزل بعض الليل للاستراحة [5]

الخضراء و تاديلة "تاولالة" تشتهر هاتان البلدتان ببساتينهما الكثيرة ومائها الغزير ومزارعها الواسعة ، ولما سمع أهلها بقدوم جيش الباي ، تفرقوا في الجبال وبطون الأودية وتركوا أرزاقهم فكانت غنائم انتفع مهنا الجيش [6]

---

[1] طاهر حسيني ، مرجع سابق، ص263.
[2] ابن هطال التلمساني ، مرجع سابق ، ص 37
[3] ابن هطال التلمساني ، مرجع سابق ، ص37
[4] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص263
[5] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ص38
[6] بن عتو بلبراوات ، مرجع سابق ، ص 109

فهاتان المنطقتان تمثل صورة المدينة المغلوبة على أمرها، فقد وقعتا بسهولة في يد جيش محمد الكبير [1] ثم ارتحل منها ونزل

.الجير[2] يبدوا أنها مدينة صغيرة إلا أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهذه الحركة ، فقد استمدت أهميتها من كونها المكان المتفق عليه مسبقا لإعادة إلتآم الجيش بعد أن انقسم إلى قسمين لدواعي أمنية

والذي يبدوا أنها قد توفرت على ما يساعد على التجمع [3] . حسب ما ذكره ابن هطال تلمساني الذي روى تفاصيل هذه الحلة . فكما وضعها في كتابه " وهذا المنزل فيه ثلاث عيون ، كل عين منها في غاية مايكون في صفاء الماء وقوته واتساع الأرض التي تسقى به " .[4]

وقدم أيضا على الباي محمد الكبير أعيان قبائل الأحرار الشراقة (أي المستقرون من ناحية الشرق) بالإبل والخيل التي اشترطها عليه ، فعفا عنهم و بالتالي تسنى للباي محمد الكبير تعويض ما فقده جيشه من إبل بفعل البرد الشديد والثلج علما أن الغزوة تمتد في فصل الشتاء من يناير إلى مارس 1785 م [5]

. " شادمامة " و " قصر اوفل " غنم جيش الباي محمد الكبير حبوب وخيل وإبل هذين الموضعين بعد أن وجد أهلها قد لاذوا بالفرار إثر سماعهم بتأهبه لغزوتهم[6]

. " القعدة " : التي يضرب بها المثل في الصعوبة المحيطة بها سبعة أدوار فلذلك اشتهرت بهذا الاسم فنجد البعض يسميها "سبعة أدوار " ةالبعض الآخر يسميها

" القعدة "[1]

---

[1] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص264
[2] احمد بن هطال التلمساني ص 41
[3] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص265
[4] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ، ص 41
[5] بن عتو بلبراوات ، مرجع نفسه ،ص109
[6] بن عتو بلبراوات ، مرجع نفسه ،صفحة نفسها

حاصرها البايلك محمد الكبير بفرسانه و مشاته من كل جهة، و صار أهلها في خناق شديد ، يتغيرون القتل أو الأسر و قد غنم الجنود الخيام و الأنعام ، و تحرك أعيان "القعدة" لمصالحة الباي محمد الكبير على إعطائه اربعمائة رأس من البقر و مائة حمل من الشعير و عدد من الخيول [2]

- الدبداب : وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد.

و أهلها أصحاب قوة ، و عدّة و عزّة .[3] و شمس أيضا أبو شكوة [4] وقد ذكروا له أن باي" تيطري" نزل عليها فطردوه ، وقتلوا له رجلين ، و ذهب مذموما مدحورا .[5] ، فكلف خليفته محمد بن عبد الله بغزوهم ، لكنّه وجدهم قد فرّوا تاركين أمتعتهم وقوتهم من قمح و شعير ، و سمن وغيره . التي غنمها الجنود خاصة الشعير من أجل تقديمها علفا لدوابهم [6]

وكذلك أهل عين ماضي فإنّه مرّ بهم في طريقه لبني الأغواط فاتقوه بالطاعة ،

ثم بلغه بعد ذلك عنهم أنهم نقضوا الطاعة وخالفوا الجماعة فغزاهم ....، ... ، وما غربت الشمس حتى ملك القرية وجمع نساءها وأولادها ثم من على أهلها بها بعد أن عادوا لحكمه والتزموا له . بمال يؤدونه كل سنة [7]

المطلب الثالث : نقطة الوصول (الأغواط مكان التمرد)

---

[1] ابن هطال تلمساني مصدر سابق ص45

[2]

[3]

[4]

[5]

[6]

[7]

تعتبر هذه المدينة ذات أهمية بالغة في رحلة الباي محمد الكبير الجنوب الصحراوي الجزائري ، وما يؤكد أهميتها هو التحضيرات التي سبقت الوصول إليها ، والقوة التي أعدها الباي محمد الكبير

من أجل إخضاع سكانها الذين تمردواعلى السلطة ...

الأمر الذي فرض على علمائها أن يقدموا على بطل الرحلة بصورهم الدينية التي نستنتجها من خلال حملهم لصحيح البخاري معهم طالبين الأمان ، مذعنين بطاعته ، راغبين أن يكون من رعيته ، مقدمين من أجل ذلك [1]

وكما جاء في كتاب ابن هطال التلمساني " أن يعطوا مائة خادم وخمسة آلاف سلطاني ، ومائة ثوب وأربعة أفراس "[2] فأمنهم وكساهم [3] فلما فتحوه (الكتاب) ألفوه مخالفا لغرضه ، فجعلوه سببا لنقض عهدهم ، وحجة لمكرهم ... واشتغلوا بعمارة الأسوار ، ويقولون لبعضهم الحصار الحصار ، وجعلوا يبعثون لمن حولهم من الأعراب والقرى ..

ورتبوا أعيان البلاد أهل النجدة والبأس في الأماكن التي تخاف منها ، وجعلوا الرماح في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع ، وغلقوا جميع ، أبواب المدينة بالبنيان .... والحاصل أنهم لم يسبق باب من أبواب الجوف إلا وغلقوه ، ولا أمر نافع إلا واستعدوه ، والمواضع القديمة جددوها ، والجديدة حصنوها وشيدوها ، مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها ، محمية بأسوارها ورجالها ، ولذلك لم يطمع أحد من الذين كان قلبهم فيها [4]

1
2
3
4

وبع أن تبين للباي محمد الكبير عصيان بني الأغواط تحرك إليهم بجيشه ، ثم وضع خطته العسكرية كالآتي :

- كلف الخدم والموالي الذين اصطحبهم معه بتهديم حيطان المدينة بالفؤوس ، حائطا بعد حائط ليتمكن الجنود من التسلل إلى المدينة
- عين الجنود الإنكشاريين بالجبل ، وعين المخزن الغربي بوادي الجبل في جنوب المدينة
- نصب المدافع في الجهة الغربية للمدينة مقابلا بابها
- عين مخزن الشرق في الجهة الشمالية للمدينة
- عين مخزن الدواير في شمال المدينة ليكونو عندئذ على يسار المدافع [1]

" ولما رأى أهل المدينة أن العذاب قد أحاط بهم ، والبلاء نزل بساحتهم علموا أنه سيصلهم وسيستأصلهم "[2]

وهكذا بين التمرد والإخضاع ، أصبح المكان ساحة حرب تجلة فيه الخطة العسكرية المتبعة التي اعتمدها الباي محمد الكبير

وبلغ حلم الباي أخيرا في هذه الغزوة ، بعد إخراج العلماء منها ، وهذا ما يفسر تقديره كلمة العلم

لكن بعد وساطة الخليفة محمد بن عبد الله لدى الباي ، عفى هذا الأخير عن الاغواطيين طلبين منه أن يكتب لهم الأمان ويحدد لهم اللزمة السنوية [3]

1
2
3

والتزموا له بمال يؤدونه كل سنة[1] ففتح بني الأغواط [2]

لقد تمكن الأغواطيين من دفع الخيل والفضة والدراهم ، وقدموا عشرين خادما ، ثم تقدم ستة من كبرائهم بأبنائهم كرهائن للباي محمد الكبير ، ريثما يتموا مابقي من نصيب اللزمة . وفعلا وصلته اللزمة الباقية إثر نزوله بعين ماضي على دفعتين :

{ [3] " فقد في ذلك اليوم ، وقد أتو ببعضها ، فدفعوه . وذلك خمسة آلاف ريال "بوجه" و أربعون خادما . ورجعوا لإكمال الستين خادما الباقية من المائة ، والمائتين جملا والخمسين جملا ، وأوعدوه بأنهم سيبعثون أربعة من الخيل التي سرقها "المخاليف" تصله في منزله هذا ، وما بقي من اللزمة ، فلم يقدروا على لحوقه في الطريق بها ، وإنما يحملونها جملة إلى "معسكر" }[4]

وفي الأخير اختتم الكاتب بن هطال الرحلة التي قام بها الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري عام 1785 م يذكلا عودة جيش الباي محمد الكبير إلى معسكر

وكان دخوله يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ربيع الثاني قبل وقت العصر ة، في أول الساعة الثامنة[5]

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن بايلك الغرب بفضل جهود الباي محمد الكبير وبفضل جيش مكون في أغلبيته من فرسان المخزن (13.000 فارس و 2000 إنكشاري) منهب 14 أو 15 دوار والإستحواذ على 6700 خروف وعنزة و 5000 جمل و 630 بغلا و720بقرة وأسر 60 شخصا أغلبهم من النساء [6]

1

2

3

4

5

6

وأكد أن كل ماورد في الرحلة هو منة تأليف { أحمد بن محمد بن محمد "بفتح الميم" بن علي بن أحمد بن هطال ، طالبا من الله تعالى أن يجبر صدع قلوبنا ، ويغفر جميع ذنوبنا ، أن يجعل إستعدادنا لميعادنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه }[1]

ودعا الله و في الختام صلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

في نهاية هذا الفصل يمكن القول أن بايلك الغرب كان له أهمية بالغة ، وأن أعظم البايات الذين حكموها هو الباي محمد بن عثمان ، المعروف بالباي بن محمد الكبير أو الأكحل ، وما إلى ذلك من الأسامي الأخرى وذلك لسيرته و أوصافه أخلاقه التي يتميز بها

أن أول شيئ قام به الباي محمد الكبير بمجرد وصوله إلى الحكم هو تسيير شؤون الرعية وتنظيمهم .وما ميز تلك الفترة من حكمه خلال ق 12ه/18م هو خروج الكثير من القبائل المتمردة على السلطة المركزية ، والذي قام بإخضاعهم بعد توجيهه إلى الجنوب الصحراوي الجزائري وكتب كل تفاصيل الرحلة كاتبه الشهير ابن هطال التلمساني في كتابه المعنون ب :

{ رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي 1785م }

ومن هنا نستنتج أن الباي محمد الكبير انتهج سياسة سلمية في تسيير شؤون بايلكه سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي

وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الموالي.

1

و ذلك كله بسبب الفقر الذي كانت تعاني منه والقضاء عليه خاصة بتزايد عدد سكانها اضافة الى حصول اسبانيا على امتيازات منها حقها في صيد المرجان على الساحل الغرب الجزائري وكان ابرام هذا الإتفاق سنة 1791 وكذلك يكون لاسبانيا مركز تجاري في بلدة " جامع الغزوات " [1]أضف إلى ذلك سمح الجزائر لاسبانيا بشراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح الجزائري [2]وأيضا من الإمتيازات التي حضيت بها اسبانيا هو حق الدخول للتجار الاسبانيين بالمرسى الكبير وعدم التعرض لميناء وهران [3]

وأما عن انجلترا فقد كانت تربطها بالباي علاقة تجارة كانت بشكل محدود فبعد فتح وهران والمرسى الكبير ، كان التجار البريطانيون سيوردون سنويا حوالي 300 باخرة محملة بالحبوب من ميناء أرزيو وذلك من أجل تموين مستعمراتهم بجبل طارق وأيضا كان هناك علاقة بين الباي وانجلترا عندما بعث كاتبه الشهير أحمد بن هظال التلمساني إلى جبل طارق[4] حيث وجد في انتظاره قنطارين ونصف قنطار من البارود التي قد اشتراها الباي محمد الكبير [5]ومن اهم الشركات الاجنبية التي كانت كذلك تحتكر التجارة في وهران هي الشركات البرطانية والفرنسية التي تحولت سنة (1794- 1730) إلى شركة الملكية الافريقية التي سبق وأن ذكرناها والتي كانت تهدف إلى تنمية التجارة في قارة افريقيا

وتوفير الرخاء لرعاياها[6] بالإضافة أيضا إلى شركة لنشكو Lencheco حيث كان معمل صيد المرجان يعطي امتيازات لهذه الشركة [7] وقد فرضت الدولة الجزائرية على الدول الأوربية المتعاملة معها تجاريا إتاوات مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ومما يلاحظ أن هذه الاتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر كما كذلك للظروف السائدة في تلك الفترة ، تأثير على تحديد

---

[1] أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمئة ، مرجع سبق ذكره ص526

[2] يحيى بوعزيز ، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، ط خ ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009، ص 63

[3] المهدي بن شهرة ، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران ، ط1 ، دار الريحانة للكتاب ، الجزائر ،2007، ص127

[4] وليام سبنسر ، مرجع سبق ذكره ص 162

[5] أحمد بن هظال التلمساني ، مصدر سبق ذكره ص15

[7]

المبالغ لتلك الإتاوات [1] لقد كان الباي محمد الكبير يستورد الثقيل من الخارج فقد اتصلت الجزائر يوم 25 صفر 1192ه/ 25 مارس 1778 من قبل بريطانيا بخمسين مدفعا ، وزنها 1074 قنطار و75 رطلا وهو العدد والوزن الذي تم عليها عقد الصفقة التجارية بين الحكومتين. [2]

وفي حكم الباي محمد الكبير وبالنسبة لتحديد مبالغ تلك الإتاوات نجد ان اسبانيا كانت تساهم بما قيمته 4800 فرنك سنة 1807 وبعد توقيعها على هدنة 1785م وانسحابها من وهران الزمت بدفعه 1800ف.

اما عن توسكانيا فقد الزمت قبل سنة 1823م بدفع ما قيمته 25000او 250000 ف[3] فقد سبق له ان زار ليفورن ومرسيليا ،وعلى اساسها تمكن قليلا من تعلم اللغة الفرانكية وكثيرا من الإيطالية وهو كثير السعي في البحثعن مساعدة المسيحيين لانه يقدر فيهم إجادتهم للتسير الإداري. [4]

إضافة الى أنه قبل تحرير وهران كان هناك تبادل للوسائل مابين الجزائر واسبانيا وقد هناك اتفاقيات ومعاهدات تربطهما فبعد ان فشلت حملت اسبانيا على مدينة الجزائر ثم توقيع معاهدة صلح بين الطرفين [5] فبعد ان توفي الداي محمد عثمان باشا يوم 10 ذي القعدة 1205ه / 12 جويلة 1791 والذي خلفه الداي حسان باشا كانت الأعمال الحربية حول مدينة وهران مستمرة وكانت اسبانيا لا تزال تلح في عقد الصلح . مستجيبة لكل ما طلبته الجزائر منها .[6]

فقبل الداي حسان باشا هذا الصلح ولكن بشروط وهو الجلاء النهائي عن وهران والمرسى الكبير وقد تم ذلك الصلح عام 1785م. [7]

وفي 12 سبتمر1791 عقدت معاهدة سلم وصداقةجديدة بين الداي حسين والدون كارلوس الرابع ملك اسبانيا التي تنص على الجلاء النهائي للإسبان أضف الى ذلك دفع ضرائب

1
2
3
4
5
6
7

سنوية قدرها 120الف جنيه . وكذلك الهدايا من الأسلحة والسفن والعتاد الحربي [1] وبعد نهاية الفتح أظهر الإسبان رغبتهم في اتخاذ مركز تجاري لهم بميناء وهران –المرسى الكبير- وحاولو ذلك من طرف الداي ، فاشترطت عليهم الدولة الجزائرية تأدية مبلغ 600000 فرنك سنويا ، فعدل الإسبان عن اقتراحهم هذا من وهران نهائيا بعد ان مكثو بها 250 سنة ولم ينزل بها بعد ذلك اي اجنبي الى عهد الإحتلال الفرنسي يوم 20 رجب 1246ه /4جانفي 1831م. [2]

المطلب الثاني :علاقته مع الدول المجاورة

لقد عرفت بايلك الغرب وهران حاصة خلال فترة حكم الباي محمد الكبير علاقات مع بعض الدول العربية ونذكر على سبيل المثال علاقتها مع المغرب الأقصى وذلك بحكم موقعها الجغرافي والذي هو قريب ، حيث جعلها تكون علاقة معه والتي اصبحت تربطهما والتي كانت منذ عهد الباي محمد الكبير اذ اتسمت بالودية وتميزت بالتفاهم فقد كانت في شكل تبادل الزيارات ، فقد كانت اول زيارة قام بها ابو القاسم الزياني والمشهورة برحلة الزياني ولقد وصل خبر قدومه للباي فكتب هذا الاخير لخليفته ان يكرمه ويحسن نزله ، وعندما قدم اليه سأله الباي عن احوال الغرب ومملكته وعن السلطان مولاي سليمان وهل هو مثل مولاي يزيد ومن هنا يظهر ان الباي محمد الكبير كان مطلعا ومهتما ومتتبعا لما كان يحدث في المغرب [3]

وذاع له من علو الهمة حتى صار ك..... على علم ، قصدته ابناء الملوك والاعوان ، وهادته الأكابر من كل مكان ، فكان ملك المغرب العظم و....الأفحم ، الخليفة الجليل ، السيد محمد بن عبد الله بن اسماعيل لا تنفع عنه هداياه ولا .....منه وهو على رسله عطاياه [4]

1

3

4

وعندما كان الباي محمد الكبير يستعد لفتح وهران وجه كاتبه احمد بن مطال مع قاضي ال.... مصحوبين بهدايا الى السلطان المغرب الأقصى ليسمح لهما بشراء مايحتاج اليه الباي من اسلحة حربية[1]

وك\لك نجد من مظاهر التفاهم بين الباي وسلطان المغرب هو وقوف الباي محمد ضد صاحبه في ..... من جماية المولى مسلمة بن محمد ال\اي كان معارضا لسلطان المغرب المولى سليمان وذلك من اجل الملك واللسلطة [2]

ولقد لجأ كذلك الى مدينة معسكر عبد الرحمان ولي عهد ابن مولاي محمد سلطان المغرب ، فرحب به سلطان المغرب واحتفل بمقدمه احتفالا كبيرا وعظيما.[3]

وقد ذكر سحنون الراشدي في كتابه " الشعر الجماني في ابتسام الشعر الوهراني "وكنا جميع الامراء المعتمد بهم كأمير قسنطينة وتيطري وسلطان تونس والسيد حسن مقدم اهل اساطيل ونالشة بلدة نبوة ، فأوى الى حضرة هذا الأمير الأعظم فتلقاه بإحسانه ، وفاض عليه دوافق بره وإمتنانه .

ثم إن اخاه مولاي يزيد خليفة المغرب اليوم مر بنا ذاهبا للحج فتلقاه بأعظم مما تلقى به أخاه وأنزله في بستانه الفياح واحسن اليه بما لا تلحقه فيه لواحق الرياح [4]

وعند حصول المجاعة في مدينة تلمسان وما جاورها ارتحل الكثير من الناس الى المغرب الأقصى ، فكاتب باشا الترك أن يرد رعيته فأبوا ذلك ، فوافق السلطان على بقائهم وإعطائهم رواتب من أجل سد نفقاتهم، ولكن بعد تحسن الظروف المعيشية في بايلك الغرب ، امر السلطان هؤلاء الناس بالرجوع الى اوطانهم وكاتب الباي محمد الكبير في شأنهم من أجل حسن السيرة معهم فوافق الباي ، على ذلك وأمر الكراغلة بعدم ظلمهم [5]

وكذلك كان للعلماء والمرابطين على الوساطة بين السلطة العثمانية والقبائل خاصة بين تونس والمغرب الأقصى حيث الصراعات دائمة بينهم فكان للعلماء دور كبير في عملية التفاوض والصلح بين الطرفين ومن أشهر هؤلاء العلماء اللذين تولوا السفارة العالم بن

1
2
3
4
5

هطال التلمساني الذي توى مناصب سياسية في بايلك الغرب ايام الباي محمد الكبير الذي كان ايضا مبعوثه الخاص في المهمات الخارجية الصعبة [1]

المطلب الثالث :سيرته بين رؤساء العالم

كانت علاقة الباي مع رؤساء الدولة الاسلامية حسنة جدا، فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا ويغيث من استنجده لاسيما رؤساء الأقطار الثلاثة ، مصر، تونس، المغرب[2].

ولما مات مولاي محمد وجفى ولده كبار قواده وقتل من شاء منهم هرب الى أميرنا المنصور أقربهم اليه ابن خاله المشهور بابن خدة ففاض عليه إحسانه وبره وناله من ذلك ما قصر عنه شكر لسانه لو كان شكورا[3]

وفي كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران " من تأليف الزياني قد ذكر قصيدة للحافظ أبو راس في منظومة اخرى حيث قال :

سلطان وهران ماخيب قاصده زهت به وعلت أقاليم الأمم

شد قواعدها بحزمة فغدت مكفولة به لم تيتم ولم تيم

يرثها أولاده بعده أبدا كإرث آل شيبة مفتاح الحرم

فالدنيا ألبست إليها بطلعته رشيدها الثاني جاءت به للعلم

عم بإحسانه بدوا وحاضرها كالغيث للهظبات يروي والأكم [1]

وقد اختلف كذلك أحمد خلف باي تيطري مع رئيسه فالتجأ إلى مدينة معسكر فوجد في الباي محمد الكبير رغبته المنشودة ، إذ استجاب له وهون عليه ثم عينه خليفة على ضواحي معسكر . وكذلك فر حسن باسا ابن باي قسنطينة إلى مدينة تلمسان فوقف الباي

1

2

3

محمد الكبير بجانبه وأعانه في كل ما يحتاج إليه وتوسط لالحاق عائلته بـه . ولسنا مبـالغين اذ قلنا بان هذا الباي كان قلبة للمستغيثين وكعبة للمستنجدين[2]

وحسـب مـا جـاء فـي كتـاب الشـعر الجمـالي أيضـا أن هـذا البـاي قـد آوى إليـه سـابقا خليفـة تيطري غاضبا لعرفه ففاض عليه وأدبه ونال منه ما يرغم بـه أعاديـه وفـي ذلك قـال أيضـا أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي [3]

أتتك وفود الناس من كل جانب بجودك إن الجود للناس جالب

إذا أكثر المراعى بأرض خصيبة وجادت عليها في الربيع السحائب

تكاثر فيها القاصدون ولم تزل يجيئ إليها طالب ثم طالب

وكذلك كان بـاي تـونس ، وسلطان المغرب فـي محبتهمـا لـه وصـداقتهما سواءا ولعل ذلك ناتج عن كرمه السيال [4] وفي مآثره الحميدة ألف العديد حول هذه الشخصية المهمة ومن هؤلاء الاشخاص الذين ألفوا المصطفى بن عبد الله بن رزقة مؤلف " الرحلة القمرية " فـي الاخبار المحمدية الذي اشتغل في تقييد أحداث الباي محمد الكبير إلى أن حصل الفتح فبعد ذلك أصبح يتلقى الأخبار من الروايات ويجمعها من الرسائل وغيرها ويظمها إلـى مـا قيده حتى يصبح كل ماجمعه كتابا[5]

وقد قصده الشعراء من كل بـاب وتزاحمـوا فـي الدخول عليـه ومعهم العلمـاء مـابين إيجـاز واطناب ، فمن ذلك قصيدة العلامة الجامع الدراكة المانع النـاثر النـاظم اللاحظ الشيخ أبـي راس الحافظ قال :

خليلي قد طاب الشراب المورد لما أن صار الأمير الشعر يقصد

وأجفت رحال الوافدين أم عكر وقد كان مأوى للوفود ومقصد

1

2 أحمد هطال تلمساني . مصدر سبق ذكره .ص29 ص30

3

4 أحمد بن هظال التلمساني . مصدر سبق ذكره ص30

5 سحنون الراشدي . الشعر الحماني ، مصدر سبق ذكره ص 145 ص146

من خلال دراستنا لهذا الفصل والتطرق إليه لاحظنا أن الباي كانت تربطه علاقات داخلية وخارجية مع الأقاليم والدول المجاورة وبعض الدول الأروبية . وهذا دليل على أن بايلك الغرب في عهد الباي محمد الكبير لم تكن منفردة ومعزولة عما كان يحدث فبحكم موقعها الاستراتيجي والجغرافي استطاعت أن تكون علاقات مع تلك الدول سواءا كان ذلك في إطار السياسة أم الإقتصاد أم التجارة أم في الجانب العسكري.

المبحث الثاني : مسار رحلة الباي محمد الكبير (المنطلق إلى الوصول)

الطلب الاول : منطلق الرحلة : عادة ما تختلف دوافع القيام بالرحلات ، فهناك الدافع الديني والدافع العلمي والدافع الثقافي والدافع الحربي والاقتصادي والسياسي والسياحي ... ولكل نوع طبيعته حسب الإطار الذي تمت فيه هذه الرحلة أو تلك.

فيكون النقل للوقائع التي يصادفها الرحالة في طابع تسجيلي توثيقي [1] و إذا كانت شخصية ابن هطال هامة ثقافيا فإن موضوعه هام من عدة جوانب فإن الرحلة تتضمن أخبارا جغرافية اجتماعية سياسية وعسكرية وأدبية لا يستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرنين الماضيين [2].

وتم تقييد أوراق الكتاب خلال فترة الرحلة الممتدة من يوم الخروج من معسكر يوم الخميس 9 ربيع الأول 1119 ه / 19 يناير 1785 م [3] وذلك كله تلبية لباي وهران محمد الكبير ونزولا عند رغبته وتقربا بهذا الكتاب إليه[4] مدينة معسكر أقل قيمة من مدينة تلمسان .

وعندما كانت وهران في قبضة الاسبانيين كانت معسكر هي مقر الباي

وكانت المقاطعة عندئذ غنية وشاع الترف في معسكر، يظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها[5] لتصبح بذلك المدينة الرمز ، التي منها انطلق منها محمد الكبير غازيا وعاد إليها غانما .[1]

---

[1] شمسية غربي ، من التراث الجزائري ، الكتابة الرحالية خلال الفترة العثمانية ، الالوكة ، 2017/10/29 م 1439/2/8 ه ، 21 جوان 2019 11:41

[2] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ، ص11

[3] بن عتو بلبراوات ، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري ، الحوار المتوسطي ، جامعة بلعباس ، العدد 3-4

[4] ابن هطال تلمساني ، مصدر سابق ص107

[5] حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق ، ص 97

وهي تعتبر أهم غزواته التي قام بها داخل البلاد هي غزوة الجنوب الصحراوي الجزائري التي جهز لها جيشا عرمرما و نزح به من معسكر [2] عاصمة بايلك الغرب وقتذاك ، ويمكن اعادة الصياغة بطريقة مبسطة ومسترسلة ، وبمنهجية تعتمد التركيز على الحملة العسكرية التي قادها الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري [3] وجعل النصر دائما خلفه وأمامه وفي جهة القبلة ورأى أنها ذات بلدان كثيرة ، وأعراب راحلة ومقيمة . إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة.

ولم يكن منها لملك مصلحة ولا منفعة ، كأنها أمة أبقت من أهلها أو حرة نشزت من بعلها ، فشمر لها عن ساعد الجد ، عازما على رد ما بها من النفار والصد فجمع جموعه وقواده ، وعسكره فخرج " المعسكر " التي هي محل وطنه [4]

المطلب الثاني : أبرز مناطق العبور في الرحلة

هذا التوجه من الباي نحو الصحراء الجزائرية إنما كان على رغبة بسط السلطة على مناطق خارجة عن الحكم .

والحقيقة أن وضعية تلك المناطق في الصحراء الجزائرية آنذاك كانت ما بين راحل و مقيم ، استدعت هذا التحرك العسكري ، ومن ثم ستكون الطبيعة العسكرية هي المهيمنة على هذه الرحلة حيث ينطلق الرحالة في سرد الأماكن وأسماء المناطق المكونة لخارطة الرحلة التي عبرها الباي محمد الكبير

---

[1] الطاهر حسيني الرحلة الجزائرية في العهد العثماني "بناؤها الفني وأنواعها و حصائصها " مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم والادب العربي ، جامعة قاصيدي مرباح ، ورقلة ، 2014/2013 ص261

[2] ابن هطال تلمساني مصدر سابق ، ص19

[3] بن عتو بلبراوات ،مرجع سابق / ص107

[4] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ،ص35. 36

. دير الكاف : بالرغم أنها لم تذكر إلا بالاسم إلا أنها تعتبر هامة في الرحلة ، وتأخذ أهميتها من أنها المنطقة التي اكتشفت فيها خطت الباي محمد الكبير في هذه الغزوة والتي بينت على تقسيم الجيش إلى قسمين . قسم يكمل المسير وقسم اخر يبقى ليكون حاميا لظهر الأول [1] وهذا ما قاله ابن هطال التلمساني في كتابه "... وفي يوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على العمور ..." [2] والتي بينها وبين البيضاء ثمانية ساعات البيضاء : ..

وهذا المنزل ذو آبار كثيرة وهي سهلة التناول منها ما يكون ماؤها على قامتين ، ومنها من يكون على أقل أو أكثر بقليل إلا أنها أطيب من بعض . فاستقت الناس وعلفت دوابها[3] والتي ساعدت المحلة على الراحة من أجل إكمال الرحلة ونفس ما قيل عن هذه المنطقة يقال على " اللفيعة " [4] فنزل بعض الليل للاستراحة [5]

الخضراء و تاديلة "تاولالة" تشتهر هاتان البلدتان ببساتينهما الكثيرة ومائها الغزير ومزارعها الواسعة ، ولما سمع أهلها بقدوم جيش الباي ، تفرقوا في الجبال وبطون الأودية وتركوا أرزاقهم فكانت غنائم انتفع مهنا الجيش [6]

فهاتان المنطقتان تمثل صورة المدينة المغلوبة على أمرها، فقد وقعتا بسهولة في يد جيش محمد الكبير [7] ثم ارتحل منها ونزل الجير[8] يبدوا أنها مدينة صغيرة إلا أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهذه الحركة ، فقد استمدت أهميتها من كونها المكان المتفق عليه مسبقا لإعادة إلتآم الجيش بعد أن انقسم إلى قسمين لدواعي أمنية

والذي يبدوا أنها قد توفرت على ما يساعد على التجمع [9] .

---

[1] طاهر حسيني ، مرجع سابق، ص263.
[2] ابن هطال التلمساني ، مرجع سابق ، ص 37
[3] ابن هطال التلمساني ، مرجع سابق ، ص37
[4] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص263
[5] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ص38
[6] بن عتو بلبراوات ، مرجع سابق ، ص 109
[7] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص264
[8] احمد بن هطال التلمساني ص 41
[9] طاهر حسيني ، مرجع سابق ، ص265

حسب ما ذكره ابن هطال تلمساني الذي روى تفاصيل هذه الحلة . فكما وضعها في كتابه " وهذا المنزل فيه ثلاث عيون ، كل عين منها في غاية ما يكون في صفاء الماء وقوته واتساع الأرض التي تسقى به " .[1]

وقدم أيضا على الباي محمد الكبير أعيان قبائل الأحرار الشراقة (أي المستقرون من ناحية الشرق) بالإبل والخيل التي اشترطها عليه ، فعفا عنهم و بالتالي تسنى للباي محمد الكبير تعويض ما فقده جيشه من إبل بفعل البرد الشديد والثلج علما أن الغزوة تمتد في فصل الشتاء من يناير إلى مارس 1785 م. [2]

. " شادمامة " و " قصر اوفل " غنم جيش الباي محمد الكبير حبوب وخيل وإبل هذين الموضعين بعد أن وجد أهلها قد لاذوا بالفرار إثر سماعهم بتأهبه لغزوتهم[3]

. " القعدة " : التي يضرب بها المثل في الصعوبة المحيطة بها سبعة أدوار فلذلك اشتهرت بهذا الاسم فنجد البعض يسميها "سبعة أدوار " البعض الآخر يسميها

" القعدة "[4]

حاصرها البايلك محمد الكبير بفرسانه و مشاته من كل جهة، و صار أهلها في خناق شديد ، يتغيرون القتل أو الأسر و قد غنم الجنود الخيام و الأنعام ، و تحرك أعيان "القعدة" لمصالحة الباي محمد الكبير على إعطائه اربعمائة رأس من البقر و مائة حمل من الشعير و عدد من الخيول. [5]

- الدبداب : وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد.

و أهلها أصحاب قوة ، و عدّة و عزّة .[6] و شمس أيضا أبو شكوة [7] وقد ذكروا له أن باي " تيطري" نزل عليها فطردوه ، وقتلوا له رجلين ، و ذهب مذموما مدحورا .[8] ،

---

[1] ابن هطال التلمساني ، مصدر سابق ، ص 41
[2] بن عتو بلبراوات ، مرجع نفسه ،ص109
[3] بن عتو بلبراوات ، مرجع نفسه ،صفحة نفسها
[4] ابن هطال تلمساني مصدر سابق ص45
[5]
[6]
[7]
[8]

فكلف خليفته محمد بن عبد الله بغزوهم ، لكنّه وجدهم قد فرّوا تاركين أمتعتهم وقوتهم من قمح و شعير ، و سمن وغيره . التي غنمها الجنود خاصة الشعير من أجل تقديمها علفا لدوابهم [1]

وكذلك أهل عين ماضي فإنّه مرّ بهم في طريقه لبني الأغواط فاتقوه بالطاعة ، ثم بلغه بعد ذلك عنهم أنهم نقضوا الطاعة وخالفوا الجماعة فغزاهم ....، ... ، وما غربت الشمس حتى ملك القرية وجمع نساءها وأولادها ثم من على أهلها بها بعد أن عادوا لحكمه والتزموا له . بمال يؤدونه كل سنة. [2]

المطلب الثالث : نقطة الوصول (الأغواط مكان التمرد)

تعتبر هذه المدينة ذات أهمية بالغة في رحلة الباي محمد الكبير الجنوب الصحراوي الجزائري ، وما يؤكد أهميتها هو التحضيرات التي سبقت الوصول إليها ، والقوة التي أعدها الباي محمد الكبير

من أجل إخضاع سكانها الذين تمردوا على السلطة ...

الأمر الذي فرض على علمائها أن يقدموا على بطل الرحلة بصورهم الدينية التي نستنتجها من خلال حملهم لصحيح البخاري معهم طالبين الأمان ، مذعنين بطاعته ، راغبين أن يكون من رعيته ، مقدمين من أجل ذلك [3]

وكما جاء في كتاب ابن هطال التلمساني " أن يعطوا مائة خادم وخمسة آلاف سلطاني ، ومائة ثوب وأربعة أفراس "[4] فأمنهم وكساهم [5] فلما فتحوه (الكتاب) ألفوه مخالفا لغرضه ، فجعلوه سببا لنقض عهدهم ، وحجة لمكرهم ... واشتغلوا بعمارة الأسوار ، ويقولون لبعضهم الحصار ، وجعلوا يبعثون لمن حولهم من الأعراب والقرى ..

ورتبوا أعيان البلاد أهل النجدة والبأس في الأماكن التي تخاف منها، وجعلوا الرماح في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع ، وغلقوا جميع ، أبواب المدينة بالبنيان .... والحاصل أنهم لم يسبق باب من أبواب الجوف إلا وغلقوه ، ولا أمر نافع إلا

1
2
3
4
5

واستعدوه ، والمواضع القديمة جددوها ، والجديدة حصنوها وشيدوها ، مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها ، محمية بأسوارها ورجالها ، ولذلك لم يطمع أحد من الذين كان قلبهم فيها [1]

وبع أن تبين للباي محمد الكبير عصيان بني الأغواط تحرك إليهم بجيشه ، ثم وضع خطته العسكرية كالآتي :

- كلف الخدم والموالي الذين اصطحبهم معه بتهديم حيطان المدينة بالفؤوس ، حائطا بعد حائط ليتمكن الجنود من التسلل إلى المدينة
- عين الجنود الإنكشاريين بالجبل ، وعين المخزن الغربي بوادي الجبل في جنوب المدينة
- نصب المدافع في الجهة الغربية للمدينة مقابلا بابها
- عين مخزن الشرق في الجهة الشمالية للمدينة
- عين مخزن الدوابر في شمال المدينة ليكونوا عندئذ على يسار المدافع [2]

" ولما رأى أهل المدينة أن العذاب قد أحاط بهم ، والبلاء نزل بساحتهم علموا أنه سيصلهم وسيستأصلهم "[3]

وهكذا بين التمرد والإخضاع ، أصبح المكان ساحة حرب تجلة فيه الخطة العسكرية المتبعة التي اعتمدها الباي محمد الكبير

وبلغ حلم الباي أخيرا في هذه الغزوة ، بعد إخراج العلماء منها ، وهذا ما يفسر تقديره كلمة العلم

لكن بعد وساطة الخليفة محمد بن عبد الله لدى الباي ، عفى هذا الأخير عن الاغواطيين طلبين منه أن يكتب لهم الأمان ويحدد لهم اللزمة السنوية [4]

والتزموا له بمال يؤدونه كل سنة[1] ففتح بني الأغواط [2]

1
2
3
4

لقد تمكن الأغواطيين من دفع الخيل والفضة والدراهم ، وقدموا عشرين خادما ، ثم تقدم ستة من كبرائهم بأبنائهم كرهائن للباي محمد الكبير ، ريثما يتموا مابقي من نصيب اللزمة . وفعلا وصلته اللزمة الباقية إثر نزوله بعين ماضي على دفعتين :

{ [3] " فقد في ذلك اليوم ، وقد أتو ببعضها ، فدفعوه . وذلك خمسة آلاف ريال "بوجه" و أربعون خادما . ورجعوا لإكمال الستين خادما الباقية من المائة ، والمائتين جملا والخمسين جملا ، وأوعدوه بأنهم سيبعثون أربعة من الخيل التي سرقها "المخاليف" تصله في منزله هذا ، وما بقي من اللزمة ، فلم يقدروا على لحوقه في الطريق بها ، وإنما يحملونها جملة إلى "معسكر" }[4]

وفي الأخير اختتم الكاتب بن هطال الرحلة التي قام بها الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري عام 1785 م يذكلا عودة جيش الباي محمد الكبير إلى معسكر

وكان دخوله يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ربيع الثاني قبل وقت العصر، في أول الساعة الثامنة[5]

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن بايلك الغرب بفضل جهود الباي محمد الكبير وبفضل جيش مكون في أغلبيته من فرسان المخزن (13.000 فارس و 2000 إنكشاري) منهب 14 أو 15 دوار والإستحواذ على 6700 خروف وعنزة و 5000 جمل و 630 بغلا و720بقرة وأسر 60 شخصا أغلبهم من النساء [6]

وأكد أن كل ماورد في الرحلة هو منة تأليف { أحمد بن محمد بن محمد "بفتح الميم" بن علي بن أحمد بن هطال ، طالبا من الله تعالى أن يجبر صدع قلوبنا ، ويغفر جميع ذنوبنا ، أن يجعل إستعدادنا لميعادنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه }[7]

1
2
3
4
5
6
7

ودعا الله و في الختام صلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

في نهاية هذا الفصل يمكن القول أن بايلك الغرب كان له أهمية بالغة ، وأن أعظم البايات الذين حكموها هو الباي محمد بن عثمان ، المعروف بالباي بن محمد الكبير أو الأكحل ، وما إلى ذلك من الأسامي الأخرى وذلك لسيرته و أوصافه أخلاقه التي يتميز بها أن أول شيء قام به الباي محمد الكبير بمجرد وصوله إلى الحكم هو تسيير شؤون الرعية وتنظيمهم .وما ميز تلك الفترة من حكمه خلال ق 12ه/18م هو خروج الكثير من القبائل المتمردة على السلطة المركزية ، والذي قام بإخضاعهم بعد توجيهه إلى الجنوب الصحراوي الجزائري وكتب كل تفاصيل الرحلة كاتبه الشهير ابن هطال التلمساني في كتابه المعنون ب :

{ رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي 1785م }.

ومن هنا نستنتج أن الباي محمد الكبير انتهج سياسة سلمية في تسيير شؤون بايلكه سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني: سياسة الباي محمد الكبير

المبحث الأول: على المستوى الداخلي

المطلب الأول : التنظيم الإداري للبايلك

المطلب الثاني: علاقته مع السلطة المركزية

المطلب الثالث: علاقته بالقبائل الأخرى

المبحث الثاني: على المستوى الخارجي

المطلب الأول: علاقته مع بعض الدول الأوربية

المطلب الثاني: علاقته مع الدول المجاورة

المطلب الثالث: سيرته بين رؤساء الدول

الفصل الثاني : سياسة الباي محمد الكبير

لقد كانت السياسة الداخلية في بايلك الغرب مرتبطة بالسلطة المركزية الجزائرية بالإضافة إلى أن الباي هو الأساس في البايلك ، ولهذا يمكننا القول أن الباي له علاقة مهمة مع السلطة المركزية كما له علاقة مع القبائل الأحرى

المبحث الأول: على المستوى الداخلي

المطلب الأول : التنظيم الإداري للبايلك

كان الحكام يعينون على كل بايلك داي، خلال العهد العثماني ، فقد كان يوجد ثلاثة أقاليم وعلى رأس كل إقليم باي وذلك وفقا للتقسيم الإداري المعتمد عليه وبما جرى أن يتم تعيين هؤلاء البايات وفقا للشروط المنصوص عليها يصبحون قادة على أقاليمهم

الباي : وهو أعلى سلطة في البايلك ، فهو يعتبر بمثابة الوالي لأنه يعتبر من كبار موظفي الدولة ومان يختار من كبار الشخصيات داخل المجتمع الجزائري فقد كان يتصرف بحرية مطلقة في تسيير شؤون ولايته ، إضافة إلى ذلك يجب عليه إظهار ولائه للداي وكذلك من مهامه أنه يقوم بتسيير شؤون المدينة كما أنه يشرف على القوات المكونة من الجنود الإنكشارية والباي هو لقب أطلقه الأتراك على الوالي ، أو حاكم الناحية للبايلك يعني قائد القياد ومهمته الرئيسية هي تقديم الدنوش كل ثلاث سنوات ، وإلى جانب الباي هناك من يساعده في تسيير البايلك وهم بذلك يشكلون ديوان البايلك و الجهاز المحلي الإداري

الخليفة : فهو يعتبر نائب للباي ، يتولى مكانه عندما يخرج الباي لجمع الضرائب التي تسمى بالدنوش الصغرى التي يتم تقديمها للباي كل سنة ، وذلك في فصلي الربيع والخريف ، كما أنه يدير الشؤون خرج مركز البايلك ويقوم بإخضاع القبائل المتمردة

الباشا خزناجي أو الخزندار : وهو يعتبر من الموظفين المهمين والأساسيين في البايلك ، وهو المكلف والمشرف على جباية الأموال ، وهو المسؤول الرسمي بمصادرة دخل البايلك ، والنفقات التي جمعت في مختلف أوجه النشطات الاقتصادية والمالية للبايلك ، يساعده في هذه المهمة الدفتردار وكان أكزدار يتمتع بنفوذ كبير فبواسطته تمنح الوضائف الإدارية ، فيمكنه أن بقول للباي أنه سيعطي فلان المبلغ الفلاني ليتم تعيينه في منصب إداري معين وإذا نتنافس مجموعة على نفس المنصب ودفع كل منهم مبلغ من المال ، يأخذ الباي منهم جميعا ويختار واحد منهم . ومهمة الدفتردار أنه يقوم بمساعدة الخزندار وذلك بتسجيل وتدويين جميع الأوامر والمداخيل وكتابة الرسائل وقد جاء في كتاب الجزائر في أدبيات الرحلة والأسس في قول تيدنا في مهام الخزندار أنه هو المسؤول عن المحلة عند خروجها ، فعليه أن يعد ويرتب كل ما يجب عليه فعله عند خروج المحلة ، كما يجب أن يكون على علم بالذهب والفضة

المزورة ، و يتقاضى الخزندار 10 سكات في الشهر من الباي وقد كان تيدنا خزندار باي غرب الجزائر وقد منه الباي محمد الكبير العطاء ، .ومن حسن حظ تيدنا أنه اشتراه الباي الذي كان يحتاج إلى شخص مثقف للإدارة مترله فبقي في قصره مدة ثلاثة أعوام وسبعة أشهر ، تدرج تيدنا خلالها حتى أصبح خزندار باي الغرب الجزائري أي بمثابة وزير المالية

آغا الآشوة خوجة الخيل : هو قائد الفرسان العرب التابعين لسلطات البايلك وكان هؤلاء الفرسان يميزهم أعلام و إشارات خاصة بهم وله مهمة مراقبة الباي وكذلك يخضع للأوامر الداي والقبائل

شيخ البلد : مهامه تكون منحصرة داخل أصوار البايلك ، والمحافظة على أملاك الدولة وشؤون السكان كذلك توفير الخدمات الضرورية لهم كما أنه يتصرف في مرتبات الجند ويوزع عليهم المؤن الشهرية ويعرف كذلك شيخ البلد في وهران شيخ الحدود

بالإضافة إلى هذه الوظائف هناك وظائف أخرى مثل الباش كاتب وهو المكلف بكتابة رسائل الباي ، والباش سيار مكلف بمراقبة إصطبلات الباي وتجهيز حصن الباي الخاص عندما يعزم الباي على السفر ، وكذلك هناك وظيفة الباشا مكاحلية مخصص لفرقة المكاحلية للباي إلا أنه هناك بعض الموظفين المساعدين لهم والذين يتصل بهم الباي وقت الحاجة إليهم مثل قياد البايلك وقياد المدن وجماعة الشواش وباش العلم وباش سايس ، والذي يتولى مهمة الاعتناء بخيول الباي وتربيتها ، أما الوحدات الإدارية فيرأس كل منها قائد يعين كمسؤول مدني وعسكري في الوحدة الإدارية ، ومهمته هي جمع الضرائب والمحافظة على الأمن ويتفرع عن وطن مجموعة من الدواوير ، يرأس كل واحد شخص اسمه شيخ

أما فيما يخص الأرياف فهي تلعب دورا أساسيا في بناء الدولة العثمانية ، وبخصوص أنها تعتبر المورد الأساسي في أواخر العهد العثماني من خلال الضرائب التي تجمع من القبائل ، والتي يخرج الباي بنفسه كل سنة لجمعها من الأهالي وهذا ما يعرف بالمحلة ولقد كانت المنطقة الخاضعة لحكم باي معسكر تتكون من أربع محلات متنوعة محلة له ، وأخرى للخلفية وثالثة لقائد فليتة والرابعة لقائد مليان وتدوم هذه المحلة ثلاث شهور .

المطلب الثاني علاقته بالسلطة المركزية :

لقد كانت العلاقة بين البايات والسلطة المركزية تعكس كل ما كان يوجد في الإمبراطورية العثمانية ، ومهما يكن من شيء فإن البايات كانوا عرضة لعدم الرضا عليهم في مدينة الجزائر والدايات هم من يعنون على البايلكات ، وبالرغم من هذا فإن البايات ظلوا خاضعين تماما لحكومة الجزائر ومن هذا يمكن القول أن العلاقة التي كانت تربط الباي بالسلطة المركزية هي علاقة تبعية وذلك يتجسد خلال المساعدة بالجيوش في حالة الحرب أو كارثة طبيعية أو تمرد القبائل ، أما الباقي فقد كان يقدم للسلطة المركزية الضرائب والهدايا في الدنوش الصغير فهو ما يأتي به خليفة الباي إلى الجزائر مرتين في كل سنة حيث كان الباي يخرج من معسكر ومعه جيش كبير من أتباعه كان يوزع الهدايا على السكان ويستمر في ذلك كل يوم حتى يصل إلى الجزائر و هنا يخرج قائد آغا العرب وهو الوزير الثقافي الباشا ومعه قومه لاستقبال الباي في مكان اسمه بوفاريك بين البلدية والجزائر ويقوم آغا العرب بتقديم الهدايا للباي التي منحها له الداي والمتمثلة في فرس وسرج وكلة من ذهب وزوج كوابيس ، ولقد كان كل ذلك يقدر ب20ألف دورو ، ومن المصوغ مقدار نصف ذلك وأربعة من الخيل ، 30 عبدا من الكبار ، 20قنطار من الشمع والعسل والسمن ، ومن مظاهر الارتباط بين السلطة المركزية والبايلكات هو تعيين وعزل البايات ، أضف إلى ذلك تعيين المناصب الإدارية مثل قائد البلاد ، حارس الوطن .ويجب أن يكون الباي المعين من طرف الداي إما تركي أو كرغلي و يؤكد تيدنا رأيا مهما متعلقا بقيمة الدنوش السنوي التي كان يقدمها باي الغرب إلى الداي أجل تحديدا من فواتير داي باراداي الذي حدد قيمة هذه الدنوش ب 660,000 فرنك في العام.

المطلب الثالث : علاقته بالقبائل الأخرى

لقد عرف بايلك الغرب العديد من القبائل فمنها القبائل المخزنية ، والقبائل الرعية ، وقبائل الزمالة وغيرها من القبائل الأخرى التي كانت موجودة في هذا الإقليم حيث كانت بعض من هذه الأقاليم موالية للسلطة المركزية والبعض الآخر كان ضدها وكان موالي للعدو . وآخرين كانوا خاضعين لنظام القبيلة

ومن خلال كل هذا يمكن الحديث عن علاقة الباي محمد الكبير بالقبائل الأخرى التي كانت تابعة إلى إقليمه

1-**القبائل المخزنية** : والتي من أهمها الأعراش ، والزمالة والغرابة والبرجية والمكاحلية ، و أما القبائل المخزنية فهي تلك القبائل المواجهة للجبال التلية وهران ، إلى الهضبة الوسطى لشلف والتي تعمل على مراقبة القبائل الرعية والتي تعتبر من بين القبائل الموالية للباي ، وقد تم إعفاؤها من الضرائب إضافة إلى العديد من الامتيازات والتي تمثلت في توسيع ممتلكاتهم الفلاحة وقد استولوا بذلك على الأراضي الخصبة في مازونة ووهران وقد أصبح عددهم قي القرن 18م 26 قبيلة والتي كانت على رأسها الزمالة والدويرة

والمخزن هو عبارة عن تجمعات من السكان لهم صبغة فلاحية وعسكرية معفيون من الضرائب ما عدا الرسوم القانونية وهم موالين للباي ويبدؤون بالقتال بمجرد أول إشارة من السلطة العسكرية أو الباي بنفسه.

2- **الزمالة** : والذين هم عبارة عن أناس مطرودون من منطقتهم إلى الحدود الجزائرية وقد سمح لهم الباشا بالمكوث هناك بشرط أن يدعموه بمشاة الجنود والفرسان والخيل وما إلى ذلك وقد كانوا موجودين بكثرة في وهران

ويقول تيدنا الخزندار ووزير الباي محمد الكبير أنه عندما تخالف بعض المقاطعات الباي في دفع الضرائب لا يتوقف الباي عن مطالبتهم بها ، وعندما ينسون ما حدث يجمع من سبعة إلى ثمانية آلاف رجل ويغير على تلك القبائل ويسلبهم كل ما يملكون مثلا وفي احدى الغزوات التي انتصر فيها نهب حوالي 14أو 15 دوار ، وأخذ كذلك 67000 رأس من الحيوانات الصوفية و 5000جمل 653 دابة حيث يقوم ببيع كل الغنيمة عندما يعود إلى منزله، وبهذا كانت الدولة دائما بحاجة إلى هذه القبائل خاصة قبائل الزمالة و المخزن وذلك من أجل تعزيز جيشها الانكشاري في حالة الحروب وغيرها ، وكذلك يقدمون لها بعض الخدمات الإدارية ، أما في حالة العصيان فقد تسحب منها هذه الامتيازات التي ذكرت من قبل وقد تزايدت قوة قبائل الدوابر في سنة 1750م عندما أصبحت تمتلك أراضي واسعة تزيد عن 100000 هكتار . وأما عن القبائل التي كانت متمردة عل الباي محمد الكبير فقد كانت قليلة

كما شتتت قبيلة المحاثة و أولاد سيدي علي بن طلحة وقبائل فليتة و حميان وجميع قبائل بني راشد وقد قام هذا الباي بتنظيم أمور البلاد وإخضاع القبائل المتمردة فقد أخضع كذلك قبيلة الحشم وأدخلهم في المخزن وقد شرع ذلك في إصلاح شؤون الرعية والسهر على مصالحهم.

3- **قبائل الرعية** : وهي قبائل كانت خاضعة مباشرة للسلطة والباي والتي كانت تدفع الضرائب والتي كانت تعتبر المصدر الرئيسي لاقتصاد البلاد فلقد كانت هذه القبائل متمركزة في العديد من مناطق البايلك منها التلال والسحول والسهبية وهي تمثل بذلك القبائل المضطهدة والتي تفرض عليها الضرائب ، إن هذه القبائل كانت متمركزة عموما في التافتة وتشكل بذلك كل من شريط تليلة وجبال تسالة و طغراوي وسعيدة وفرندة وتيارت وزمورة و مازونة وغيرها وأغلب هذه القبائل كانوا يسكنون في الجبال الملائمة للزراعة أو في الهضاب الداخلية، إن هذه القبائل كانت تربطها مصالح بالسلطة المركزية.

القبائل الموالية للإسبان : من بين الأسباب التي جعلت الإسبان يمكث بالمرسى الكبير ووهران هو لجوء بعض القبائل للتعاون مع الإسبان حيث أصبح يطلق عليهم اسم القبائل المنتصرة ، وأيضا أطلق عليها اسم آخر هو المغطسون وحسب ما جاء في كتاب بهجة الناظر لعبد القادر المشرفي إن المغطسين في الأصل هم أفراد قبيلة كرشتل الذين كانوا يقدمون الأخبار للإسبان في وهران أو يبيعون أشخاصا ولما استقر قدم الانسان بوهران انحاز اليهم طوائف من الأعراب فصاروا خدما لهم ومن جملة جيشهم وكثر بهم السواد فشنوا بهم الغارات وانتفعوا بهم وكان عدد هذه الفرق التي تعاونت مع الاسبان ثمانية وهم كرشتل، شافع ، حميان ، عمرة ، قيزة ، أولاد عبد الله و أولاد علي الونازرة

المبحث الثاني : على المستوى الخارجي

المطلب الأول : علاقته مع الدول الاوربية

لقد عرف بايلك الغرب في فترة حكم محمد الباي الكبير علاقات مع دول أجنبية ومن هذه الدول التي كانت لها علاقة مع الباي محمد الكبير خلال فترة حكمه هي اسبانيا وفرنسا وانجلترا، فقد كانت هناك علاقات تربط تلك الأطراف بالباي محمد الكبير سواء حرب أو عداء فبحكم الاحتلال الاسباني لم تنتهي علاقتهما فقد ظلت تربطهما علاقات في شتى

المجالات سواء كانت علاقات اقتصادية او سياسية والتي تتجسد كلها في معاهدة الاستسلام ، وبهذا الصفح وبهذا الاستسلام اختتمت آخر صفحة من صفحات العدوان الصليبي الاسباني بعد حرب دامت قرابة ثلاثمائة عام، حيث تمكنت اسبانيا من انشاء شركة تشبه الشركة الملكية الافريقية وذلك في عاصمة الغرب الجزائري أي وهران وذلك كقاعدة تجارية والتي تحضا بامتيازات لاستيراد القمح الجزائري، و ذلك كله بسبب الفقر الذي كانت تعاني منه والقضاء عليه خاصة بتزايد عدد سكانها اضافة الى حصول اسبانيا على امتيازات منها حقها في صيد المرجان على الساحل الغرب الجزائري وكان ابرام هذا الإتفاق سنة 1791 وكذلك يكون لاسبانيا مركز تجاري في بلدة " جامع الغزوات " أضف إلى ذلك سمح الجزائر لاسبانيا بشراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح الجزائري وأيضا من الإمتيازات التي حضيت بها اسبانيا هو حق الدخول للتجار الاسبانيين بالمرسى الكبير وعدم التعرض لميناء وهران.

وأما عن انجلترا فقد كانت تربطها بالباي علاقة تجارة كانت بشكل محدود فبعد فتح وهران والمرسى الكبير ، كان التجار البريطانيون سيوردون سنويا حوالي 300 باخرة محملة بالحبوب من ميناء أرزيو وذلك من أجل تموين مستعمراتهم بجبل طارق وأيضا كان هناك علاقة بين الباي وانجلترا عندما بعث كاتبه الشهير أحمد بن هظال التلمساني إلى جبل طارق حيث وجد في انتظاره قنطارين ونصف قنطار من البارود التي قد اشتراها الباي محمد الكبير ومن اهم الشركات الاجنبية التي كانت كذلك تحتكر التجارة في وهران هي الشركات البرطانية والفرنسية التي تحولت سنة (1794- 1730) إلى شركة الملكية الافريقية التي سبق وأن ذكرناها والتي كانت تهدف إلى تنمية التجارة في قارة افريقي.

وتوفير الرخاء لرعاياها بالإضافة أيضا إلى شركة لنشكو Lencheco حيث كان معمل صيد المرجان يعطي امتيازات لهذه الشركة وقد فرضت الدولة الجزائرية على الدول الأوربية المتعاملة معها تجاريا إتاوات مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ومما يلاحظ أن هذه الاتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر كما كذلك للظروف السائدة في تلك الفترة ، تأثير على تحديد المبالغ لتلك الإتاوات لقد كان الباي محمد الكبير يستورد الثقيل من الخارج فقد اتصلت الجزائر يوم 25

صفر 1192ه/ 25 مارس 1778 من قبل بريطانيا بخمسين مدفعا ، وزنها 1074 قنطار و75 رطلا وهو العدد والوزن الذي تم عليها عقد الصفقة التجارية بين الحكومتين .

وفي حكم الباي محمد الكبير وبالنسبة لتحديد مبالغ تلك الإتاوات نجد ان اسبانيا كانت تساهم بما قيمته 4800 فرنك سنة 1807 وبعد توقيعها على هدنة 1785م وانسحابها من وهران الزمت بدفعه 1800ف.

اما عن توسكانيا فقد الزمت قبل سنة 1823م بدفع ما قيمته 25000او 250000 ف فقد سبق له ان زار ليفورن ومرسيليا ،وعلى اساسها تمكن قليلا من تعلم اللغة الفرانكية وكثيرا من الإيطالية وهو كثير السعي في البحثعن مساعدة المسيحيين لانه يقدر فيهم إجادتهم للتسير الإداري .

إضافة الى أنه قبل تحرير وهران كان هناك تبادل للوسائل مابين الجزائر واسبانيا وقد هناك اتفاقيات ومعاهدات تربطهما فبعد ان فشلت حملت اسبانيا على مدينة الجزائر ثم توقيع معاهدة صلح بين الطرفين فبعد ان توفي الداي محمد عثمان باشا يوم 10 ذي القعدة 1205ه / 12 جويلة 1791 والذي خلفه الداي حسان باشا كانت الأعمال الحربية حول مدينة وهران مستمرة وكانت اسبانيا لا تزال تلح في عقد الصلح . مستجيبة لكل ما طلبته الجزائر منها فقبل الداي حسان باشا هذا الصلح ولكن بشروط وهو الجلاء النهائي عن وهران والمرسى الكبير وقد تم ذلك الصلح عام 1785م.

وفي 12 سبتمر1791 عقدت معاهدة سلم وصداقة جديدة بين الداي حسين والدون كارلوس الرابع ملك اسبانيا التي تنص على الجلاء النهائي للإسبان أضف الى ذلك دفع ضرائب سنوية قدرها 120الف جنيه . وكذلك الهدايا من الأسلحة والسفن والعتاد الحربي وبعد نهاية الفتح أظهر الإسبان رغبتهم في اتخاذ مركز تجاري لهم بميناء وهران –المرسى الكبير- وحاولوا ذلك من طرف الداي ، فاشترطت عليهم الدولة الجزائرية تأدية مبلغ 600000 فرنك سنويا ، فعدل الإسبان عن اقتراحهم هذا من وهران نهائيا بعد ان مكثوا بها 250 سنة ولم ينزل بها بعد ذلك اي اجنبي الى عهد الاحتلال الفرنسي يوم 20 رجب 1246ه /4جانفي 1831م

المطلب الثاني :علاقته مع الدول المجاورة

لقد عرفت بايلك الغرب وهران حاصة خلال فترة حكم الباي محمد الكبير علاقات مع بعض الدول العربية ونذكر على سبيل المثال علاقتها مع المغرب الأقصى وذلك بحكم موقعها الجغرافي والذي هو قريب ، حيث جعلها تكون علاقة معه والتي اصبحت تربطهما والتي كانت منذ عهد الباي محمد الكبير اذ اتسمت بالودية وتميزت بالتفاهم فقد كانت في شكل تبادل الزيارات ، فقد كانت اول زيارة قام بها ابو القاسم الزياني والمشهورة برحلة الزياني ولقد وصل خبر قدومه للباي فكتب هذا الاخير لخليفته ان يكرمه ويحسن نزله ، وعندما قدم اليه سأله الباي عن احوال الغرب ومملكته وعن السلطان مولاي سليمان وهل هو مثل مولاي يزيد ومن هنا يظهر ان الباي محمد الكبير كان مطلعا ومهتما ومتتبعا لما كان يحدث في المغرب.

وذاع له من علو الهمة حتى صار ك..... على علم ، قصدته ابناء الملوك والاعوان ، وهادته الأكابر من كل مكان ، فكان ملك المغرب العظم و....الأفحم ، الخليفة الجليل ، السيد محمد بن عبد الله بن اسماعيل لا تنفع عنه هداياه ولا .....منه وهو على رسله عطاياه.

وعندما كان الباي محمد الكبير يستعد لفتح وهران وجه كاتبه احمد بن مطال مع قاضي ال.... مصحوبين بهدايا الى السلطان المغرب الأقصى ليسمح لهما بشراء ما يحتاج اليه الباي من اسلحة حربية.

وك\لك نجد من مظاهر التفاهم بين الباي وسلطان المغرب هو وقوف الباي محمد ضد صاحبه في ..... من حماية المولى مسلمة بن محمد ال\اي كان معارضا لسلطان المغرب المولى سليمان وذلك من اجل الملك والسلطة.

ولقد لجأ كذلك الى مدينة معسكر عبد الرحمان ولي عهد ابن مولاي محمد سلطان المغرب ، فرحب به سلطان المغرب واحتفل بمقدمه احتفالا كبيرا وعظيم.

وقد ذكر سحنون الراشدي في كتابه " الشعر الجماني في ابتسام الشعر الوهراني "وكنا جميع الامراء المعتمد بهم كأمير قسنطينة وتيطري وسلطان تونس والسيد حسن مقدم اهل اساطيل

ونالشة بلدة نبوة ، فأوى الى حضرة هذا الأمير الأعظم فتلقاه بإحسانه ، وفاض عليه دوافق بره وامتنانه.

ثم إن اخاه مولاي يزيد خليفة المغرب اليوم مر بنا ذاهبا للحج فتلقاه بأعظم مما تلقى به أخاه وأنزله في بستانه الفياح واحسن اليه بما لا تلحقه فيه لواحق الرياح

وعند حصول المجاعة في مدينة تلمسان وما جاورها ارتحل الكثير من الناس الى المغرب الأقصى ، فكاتب باشا الترك أن يرد رعيته فأبوا ذلك ، فوافق السلطان على بقائهم وإعطائهم رواتب من أجل سد نفقاتهم، ولكن بعد تحسن الظروف المعيشية في بايلك الغرب ، امر السلطان هؤلاء الناس بالرجوع الى اوطانهم وكاتب الباي محمد الكبير في شأنهم من أجل حسن السيرة معهم فوافق الباي ، على ذلك وأمر الكراغلة بعدم ظلمهم وكذلك كان للعلماء والمرابطين على الوساطة بين السلطة العثمانية والقبائل خاصة بين تونس والمغرب الأقصى حيث الصراعات دائمة بينهم فكان للعلماء دور كبير في عملية التفاوض والصلح بين الطرفين ومن أشهر هؤلاء العلماء اللذين تولوا السفارة العالم بن هطال التلمساني الذي توى مناصب سياسية في بايلك الغرب ايام الباي محمد الكبير الذي كان ايضا مبعوثه الخاص في المهمات الخارجية الصعبة .

المطلب الثالث : سيرته بين رؤساء العالم

كانت علاقة الباي مع رؤساء الدولة الاسلامية حسنة جدا، فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا ويغيث من إستنجده لاسيما رؤساء الأقطار الثلاثة ، مصر، تونس، المغرب.

ولما مات مولاي محمد وجفى ولده كبار قواده وقتل من شاء منهم هرب الى أميرنا المنصور أقربهم اليه ابن خاله المشهور بابن خدة ففاض عليه إحسانه وبره وناله من ذلك ما قصر عنه شكر لسانه لو كان شكورا.

وفي كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران " من تأليف الزياني قد ذكر قصيدة للحافظ أبو راس في منظومة اخرى حيث قال:

سلطان وهران ما خيب قاصده زهت به وعلت أقاليم الأمم

شد قواعدها بحزمة فغدت مكفولة به لم تيتم ولم تيم

يرثها أولاده بعده أبدا كإرث آل شيبة مفتاح الحرم

فالدنيا ألبست إليها بطلعته رشيدها الثاني جاءت به للعلم

عم بإحسانه بدوا وحاضرها كالغيث للهضبات يروي والأكم

وقد اختلف كذلك أحمد خلف باي تيطري مع رئيسه فالتجأ إلى مدينة معسكر فوجد في الباي محمد الكبير رغبته المنشودة ، إذ استجاب له وهون عليه ثم عينه خليفة على ضواحي معسكر . وكذلك فر حسن باسا ابن باي قسنطينة إلى مدينة تلمسان فوقف الباي محمد الكبير بجانبه وأعانه في كل ما يحتاج إليه وتوسط لإلحاق عائلته به . ولسنا مبالغين اذ قلنا بان هذا الباي كان قلبة للمستغيثين وكعبة للمستنجدين.

وحسب ما جاء في كتاب الشعر الجمالي أيضا أن هذا الباي قد آوى إليه سابقا خليفة تيطري غاضبا لعرفه ففاض عليه وأدبه ونال منه ما يرغم به أعاديه وفي ذلك قال أيضا أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي.

أتتك وفود الناس من كل جانب بجودك إن الجود للناس جالب

إذا أكثر المراعى بأرض خصيبة وجادت عليها في الربيع السحائب

تكاثر فيها القاصدون ولم تزل يجيئ إليها طالب ثم طالب

وكذلك كان باي تونس ، وسلطان المغرب في محبتهما له وصداقتهما سواءا ولعل ذلك ناتج عن كرمه السيال وفي مآثره الحميدة ألف العديد حول هذه الشخصية المهمة ومن هؤلاء الاشخاص الذين ألفوا المصطفى بن عبد الله بن رزقة مؤلف " الرحلة القمرية " في الاخبار المحمدية الذي اشتغل في تقييد أحداث الباي محمد الكبير إلى أن حصل الفتح فبعد ذلك أصبح

يتلقى الأخبار من الروايات ويجمعها من الرسائل وغيرها ويظمها إلى ما قيده حتى يصبح كل ما جمعه كتابا قد قصده الشعراء من كل باب وتزاحموا في الدخول عليه ومعهم العلماء ما بين إيجاز واطناب.

فمن ذلك قصيدة العلامة الجامع الدراكة المانع الناثر الناظم الملاحظ الشيخ أبي راس الحافظ قال :

خليلي قد طاب الشراب المورد لما أن صار الأمير الشعر يقصد

وأجفت رحال الوافدين أم عكر وقد كان مأوى للوفود ومقصد

من خلال دراستنا لهذا الفصل والتطرق إليه لاحظنا أن الباي كانت تربطه علاقات داخلية وخارجية مع الأقاليم والدول المجاورة وبعض الدول الاوروبية . وهذا دليل على أن بايلك الغرب في عهد الباي محمد الكبير لم تكن منفردة ومعزولة عما كان يحدث فبحكم موقعها الاستراتيجي والجغرافي استطاعت أن تكون علاقات مع تلك الدول سواء كان ذلك في إطار السياسة أم الاقتصاد أم التجارة أم في الجانب العسكري.

أولا: التعريف بالمؤلف (صاحب الرسالة) :

هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني[1]، كاتب ومستشار وسفير ومبعوث في المهمات الخارجية لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية ولإبنه عثمان بعد وفاة أبيه. [2]

ويعتبر كذلك من أبرز رجال الأدب والتاريخ والسياسة وقد كان كذلك محارب وعايش فترة مهمة وخصبة من تاريخ الجزائر في القرن 18م. وكذلك رافق الباي في حملته على الأغواط سنة 1785 [3].

وقد أوفده الباي محمد الكبير في سفارة إلى سلطان المغرب حملت معها هدايا للسلطان الذي استجاب لطلب الباي بالسماح لمرور حمولة من البارود بلغت قنطارين ونصف من جبل طارق عبر المغرب استعدادا لطرد الاسبان من وهران سنة 1791.[4]

مات الكاتب الشهير أحمد بن هطال[5] التلمساني في معركة فرطاسة[6] على يد الدرقاويين[7] سنة 1219 ه / 1803 م. أنظر الملحق رقم 01.

ثانيا: التعريف بالكتاب:

أ/ التحليل الظاهري للكتاب:

1) عنوان الكتاب: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 م.

2) تأليف: أحمد بن هطال التلمساني.

---

[1] - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، ت. محمد بن عبد الكريم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 15.

[2] - مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، اشراف رابح خدوي، ط، منشورات الحضارة، ص 181.

[3] - أحمد بن هطال التلمساني، مصدر سبق ذكره، ص 15.

[4] - مجموعة من العلماء، موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب والمسلمين، ت، المنجي بوسنينه، دار الجيل، لبنان، تونس، 2004، ص 570.

[5] - أحمد بن التلمساني، مصدر سابق، ص 15.
وتعود جذورها إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي 1219 ه من فقراء ومتصوفة المغرب الأقصى، كان له أتباع منتشرين في الجزائر وغربها،وكان مقدم طريقته في وهران الشيخ عبد القادر بن الشريف، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 220.

[6] - معركة فرطاسة: كانت بين الثوار وبين باي وهران مصطفى وهزم فيها الباي، وفي هذه المعركة مات الكاتب الشهير أحمد بن هطال التلمساني، أنظر: محمد بن يوسف الزياني، دليل الجيزة وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ت ح المهدي البوعبدلي، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص 3.

[7] - الدقاويين: عبد القادر الدرقاوي الشرف، تزعم الثورة ضد الأتراك المعروفة "بفتنة درقاوة "، وألف فيها أبو راس الناصري مخطوطا أسما " درأ القاوة في فتنة درقاوة " أنظر : محمد بن يوسف الزياني، مصدر نفسه، ص 4.

3) ترجمة: تحقيق د/ محمد بن عبد الكريم.

4) دار ومكان النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

السلسلة: ارتياد الآفاق.

5) **سنة النشر:** 2004/10/10 الطبعة (1).

6) **عدد صفحاته**: يتكون هذا الكتاب من 127 صفحة.

7) **حجمه:** هو كتاب متوسط الحجم 17*27

8) **غلاف الكتاب**: ورق عادي.

أنظر الملحق رقم 02.

محمد بن عبد الكريم:

هو أستاذ ودكتور وقد أقدم على تحقيق العديد من المخطوطات والمؤلفات منها: أحد مؤلفات أبي راس وهو (فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته).

والدكتور ابن عبد الكريم ليس غريبا عن التحقيق و لا عن الثقافة الوطنية، فهو بثقافته الواسعة وتجاربه في ميدان تحقيق المخطوطات خبير مؤهل للقيام بنشر هذه الآثار العلمية فقد سبق لابن عبد الكريم أن نشر حوالي عشرة كتب قديمة خلال العشر سنوات الماضية.

وتوسع في معرفة ثقافة العهد العثماني بالخصوص أثناء نشره لآثار محمد بن ميمون وأحمد المقري وعبد القادر المشرقي (شيخ أبي راس) ونحوهم وهاهو يضيف إلى ذلك فتح الإله

ولعلى ابن عبد الكريم قد تأخر في نشر هذه الأثر لأن أبا راس في الواقع من أهم مؤلف العهد العثماني. [1]

ومحقق مخطوطة رحلة محمد الكبير هو الأستاذ محمد بن عبد الكريم والتي تعتبر سابعة سبع مخطوطات. [2]

أنظر الملحق رقم 03

الأسباب التي دفعت بالمحقق محمد بن عبد الكريم (تحقيق الرحلة) :

تعتبر رحلة محمد الكبير من سابعة سبع المخطوطات[9876543] التي قام بتحقيقها الدكتور محمد بن عبد الكريم حتى يستفيد منها الجمهور.

وموضوع هذا المخطوط هو مرحلة معينة من مراحل التاريخ العثماني، وفترة محمدة من فترات الزمن فقد عاشها المؤلف يتقيد حوادثها، ويعبر ما هو أجدر بالتجبير، فيطلع عليه من يأتي بعده من أبناء البشر.

وذلك كله تلبية للباي محمد الكبير وتقربا به بهذا التأليف ولقد أراد محمد بن عبد الكبير أن يصل إلى جمهور المثقفين لاسيما منهم المؤرخين الذين لا يتركون كبيرة ولا صغيرة تفوتهم فيمعن النظر في معانيها وأسبابها ونتائجها.

---

[1] - محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تح، ص، تع، محمد بن عبد الكريم الجزائري، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 6.

[2] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 11-13.

[3] - وهي إتحاف المنصفين والأدباء، الحمدان خوجة.

[4] - وشاح الكتائب لقدور بن رويلة.

[5] - التحفة المرضية، لإبن ميمون الجزائري

[6] - رحلة أحمد باي

[7] - رحلة محمد الكبير باي وهران

[8] - بهجة الناظر، لعبد القادر المشرفي

[9] - القول الأوسط فيما حل بالمغرب الأوسط، لأحمد الشراقي، أنظر بن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 13.

كان هذا فيما يتعلق بمعلومات الكتاب:

أما فيما يتعلق بالشكل الخارجي للكتاب فهو كتاب متوسط الحجم ورقي أصفر اللون، وفي وسط الغلاف إطار على شكل زخرفة وداخل هذا الكتاب العنوان " رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 " مكتوب بخط غليظ ومتوسط وبلونين مختلفين أحمر و أزرق سماوي وتحت هذا العنوان اسم المؤلف " أحمد ابن هطال التلمساني ".

ويليه مباشرة صاحب تقديم الكتاب دا محمد بن عبد الكريم وكذلك اسم دار النشر والتوزيع " المؤسسة العربي للدراسات والنشر.

محتوى الكتاب:

يحتوي هذا الكتاب الذي بين أيدينا على مقدمة لصاحب دار النشر وبعده مقدمة تليه للدكتور أبو القاسم سعد الله، ومن ثم مقدمة لصاحب تقديم وتحقيق هذا الكتاب الدكتور محمد

بن عبد الكريم وهذا الكتاب هو عبارة عن عناوين حيث أن الكاتب " أحمد ابن هطال التلمساني " لم يعتمد على طريقة الفصول والتبويب ربما كان ذلك بسبب ضيق الوقت.

وأول شيء نصادفه عند تفحص هذا الكتاب هو:

- التعريف بصاحب الرسالة.
- التعريف بالباي محمد الكبير.
- دوره في الحكم.
- عدة مكث الإسبان في وهران.
- أعماله وانجازاته.
- مكانته بين رؤساء الدول.
- أوصافه الحسنة والأخلاق المعنوية.

وبعد هذا كله نجد ملاحظة للدكتور محمد بن عبد الكريم

النسخ والمناهج المعتمدة في تحقيق هذه الرسالة.

أهم الملاحظات التي أشار إليها محمد بن عبد الكريم في هذا الكتاب

النسخ المعتمدة في تاريخ الرسالة:

أولهما : مخطوطة خاصة توجد بخزانتها ذات حجم صغير مربع خطها مغربي صمعني واضح لونه أسود في كل صفحة منها 21 سطرا وهذه النسخة مجهولة الكتاب.

ثانيتهما: مخطوط بالمكتاب الوطنية بالجزائر العاصمة تحت رقم 1643، وهي كذلك ذات حجم مربع صغير، خطها مغربي صمعني واضح جيد، لونه أسود أحمر أزرق و أوراقها بيضاء مشوبة بخضرة، في كل صفحة منها 17 سطرا.

ثالثتهما: مخطوط بالمكتبة الوطنية " بالجزائر العاصمة " أيضا رقم 1644 ذات حجم مستطيل صغير، خطها مغربي صمعني رديء، في كل صفحة منها 21 سطرا، وهذه النسخة يبدو أنها مجهولة الكاتب، رغم أن اختتمت بالعبارة نفسها التي ختمت بها النسخة رقم 1643. [1]

ومن المناهج التي اعتمدها محمد بن عبد الكريم في تحقيق هذه الرسالة هي:

1 / المحافظة على النص كما هو.

2/ شرح بعض المفردات التي يصعب فهمها.

3/ كتابة الأبيات الشعرية بأسماء الشعراء.

4/ إرجاع كل آية مكتوبة باسم السورة ورقمها.

5/ ترتيب المراجع حسب الحروف الهجائية.

6/ ترتيب الموضوعات والأعلام والألقاب والأماكن والبلدان حسب الحروف الهجائية.

7/ ترتيب القوافي حسب الحروف الهجائية.

8/ ترتيب أسماء الكتب الواردة في المقدمة والرسالة حسب والحروف الهجائية.

ثم نص الرحلة وفي آخر الكتاب الكشاف الحضاري (مراجع، موضوعات، أبيات كريمة... الخ).

[1] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 31-32.

اهتمام المستشرقين الفرنسيين برحلة الباي:

جاء اهتمام الجمعية التاريخية الجزائرية ومجلتها الإفريقية برحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ضمن اهتمامها بدراسة الصحراء الجزائرية، كفضاء واسع المتميز ببيئة الطبيعة القاسية، وقبائله العربية والأمازيغية المنغلقة على نفسها، وبنمط عيشها كقبائل مستقرة أو رحالة وما نلفت الانتباه إلى أن المستشرقين الفرنسيين قد استعصى عليهم في أوائل الاحتلال.

الخوض في شؤون وخبايا الصحراء الجزائرية لأنه لم تتوفر لديهم بعد امكانيات البحث العلمي ولم تتعاط ظروف الجزائر مع العطاء الثقافي والفكري للمستشرقين الفرنسيين، فتساؤلات الغزو العسكري والاستيطان، كانت تستحوذ على عقول الفرنسيين عامة، وأيقنوا أن البحث العلمي واكتشاف الجزائر من الداخل، يتطلب امتلاك الأرض والبلاد وارساء قواعد عسكرية ومراكز استيطانية. [1]

اتفقت المصادر العربية والأوروبية على الصفات الحميدة للباي محمد الكبير، وهي نافذة لاكتشاف جوانب شخصية هذا الرجل كحاكم متنور في عصر الأنوار ونلخصها في النقاط التالي:

[1] - بن عتو بلبروات، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الصحراوي للحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، رقم العدد 4/3، ص 114.

- الالتزام بالشورى.
- احترام أهل الذمة وأهل الصلح.
- الصفح عن المذنبين التائبين.
- الوفاء بالوعد والتعجيل بالمعروف.
- الجود والسخاء.
- التعرض إلى كل من أساء للإسلام قولا أو فعلا سواء كانوا يهودا أو نصارى أو منافقي الأمة الإسلامية.
- الحزم والشجاعة والجرأة الحربية والحلم. [1]
- إضافة إلى المجلة الإفريقية باللغة الفرنسية التي تحدث في إحدى أعدادها على الباي محمد الكبير. [2]

وأيضا هناك دراسة فرنسية حول الباي محمد الكبير والمعنونة بـ:

Abrégé de l'histoire du Bey Mohamed Al-Akhal et de la conquête d'Oran par les Espagnols.

أي معناها مختصر تاريخ الباي محمد الأكحل وتحرير وهران من قبضة الاسبان.

المصدر هو المكتبة الوطنية الفرنسية.

Source gallica.bng.fr/bibliothèque nationale de France (Bnf Gallica)

(والمخطوط متواجب في المكتبة الفرنسية).

وقد عمدنا أن نعيد كتابة جزء إحدى المخطوطات المكتوبة بالخط المغربي إلى خط النسخ.

---

[1] - بلبيروات بن عتو، الباي محمد الكبير – باي وهران 1779 – 1797، حياته وسيرته، مجلة عصور، عدد 03، جوان 2003، ص 3.

[2] - المجلة الإفريقية (بالفرنسية)ز

أنظر الملحق رقم ( )

وأنظر الترجمة في الملحق رقم ( ) .

نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران رحمه الله [1]

الباي محمد الملقب عند العرب بمحمد الأكحل الذي كان يجيب عليهم أنه يسموه محمد الكبير لشجاعته وحسن تدبيره/ وهو ابن عصمان الكردي الذي كان أول وآخر حاكما بمليانة ثم ارتقى إلى منصب باي تيطري وكان منصف هذا الوطن (وثيق) / أعظم المناصب، وليه (أكبر) الولاة لأنه كان هو المتقدم عليهم في كل (محفل) وقع عند الباشا في الحواسم وغيرها فيقال/ له باي البايات ومراد الأتراك في تغطيهم باي تيطري عن غيره لأنه أول وطن أذعن لطاعتهم مع ضيفه وضعه عغرامته قلة ( ) هذا وأن جميع بايات تيطري ليس لهم مستقر مصين، وكانوا يتمنون كثيرا من دنوهم إلى كرسي مملكة / الجزائر حيث أنهم أقرب من غيرهم للباشا ولأنهم كانوا تحت نظره وكان (يكف) عليهم توفير الأموال الغزيرة في (المراة) / القليلة (فإن) هي الحصى لسطوتهم وبها تتستر مظالمهم وتقضي مئاربهم ولا تستشاره غنية المال وحب الرشوة المطبوعة / على قلب البشر كانا عمرة لهم في دولتهم هذا سبب سعيهم في الانتقال الى عمال الشرق أو فيصب عماله الغرب مع/ مال ( ) الحرفية المتقدم ذكرها و ( ) رعية تيطري عند عرضها ويحتمل أن هذا الباي عصمان الكردي لما تعذر عليه ذلك / وأراد الخروج من منصب إلى منصب آخر اشتغل يجمع الأموال من ( ) التي كان يتحرك في طنه وقبضة ( ) النابغة يشتري في محرمة من ديوان الجزائر ان انتاج الى ذلك ومع ذلك ان هذا الباي راغبا في الفتنة وفكرها.

أنظر الملحق رقم 04.

[1] - Source : gallica.bnf.fr

تعتبر رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري من أهم الرحلات الهامة في الجزائر خلال العهد العثماني فقد تضمنت في طياتها أخبارا في كافة المجالات والجوانب والتي لا يمكن لأي دارس أن يستغني عنها خاصة في دراسته لتاريخ الجزائر خلال القرن 12 ه/ 18 م.

حيث ساهم العديد من الشخصيات في نقل هذه الوقائع التاريخية وذلك حسب ما رأوه باعتبارهم شهود عيان[1]، ومن هؤلاء الشخصيات الهامة المؤلف الكاتب ابن هطال التلمساني صاحب الكتاب الذي نحن بصدد دراسته والمعنون ب" رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 م.[2]

الباي محمد الكبير:

اسمه: محمد بن عثمان الكردي

[1] - أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي صاحب كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني "، فقد تناول موضوعات تخص الباي محمد الكبير الفتح الثاني على يد محمد الكبير و أعماله وانجازاته.

[2] - محمد بن يوسف الزياني، صاحب كتاب " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ". وأيضا يعتبر من المؤلفين الذين تحدثوا الذين تحدثوا على الباي محمد الكبير.

كنيته: أبو عثمان، أبو علي، أبو محمد، أبو أحمد،أبو الفتوحات، أبو النصر، أبو المواهب، أبو الربيع، أبو الفتح. [1]

سابع عشرينهم أبو عثمان الذي قيضه الله لفتح وهران. [2] وكانت أمه جارية اسمها زائدة.

أما أبوه فهو ابو اسحاق الحاج عثمان بن ابراهيم الكردي. [3]

كان كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الترحال والاسراء، ففتح بني الأغواط والشلالتين، وعين ماضي، ومزاب وأبا الضروس ونزل شراعة وهم بفتح بني بزناسن وأبي عروس، وأعظم فتوحاته فتح وهران.[4]

وقيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما وقيل أنه مات فجأة لأنه مات من غير مرض. [5]

ظروف وصول الباي محمد إلى الحكم:

كان والده عثمان الكردي صديقا لأبي اسحاق ابراهيم قائد " مليانة " الذي تكفل بولديه محمد الكبير والرقيق بعد وفاة عثمان الكردي.

ولما توسم إبراهيم في محمد نشاطا متزايدا، وشجاعة صادقة وذكار حادا، أحب أن يوطد العلاقات بينه وبينهما، فأصهر إليه وزوجه بابنته ولما ارتقى ابراهيم وعين على رأس الإيالة الغربية، أخذ معه صهره محمد الكبير وعينه قائدا أعلى " فليتة " سنة 1178ه.[6]

وبعد ذلك عين محمد الكبير خليفة لإبراهيم سنة 1182 ه ، ليشركه فيما بعد في جميع حكومته.

---

[1] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 16.
[2] - محمد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 199.
[3] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 17.
[4] - الأغا بن عوادة المزاري، طلوع سعد السعود، ج ت ، يحيى بوعزيز"، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 290، 291.
[5] - أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف، الزهار، أحمد توفيق المداني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،ص 63.
[6] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 17-18.

وفي سنة 1189 ه حاول الاسبان غزو الحوائر تحت قيادة " الأرلادي أوريلي "، فقام محمد الكبير بالدفاع عن الجزائر، وأذاق الجيوش الاسبانية المرارة، فشكره الداي " محمد عثمان باشا "[1] وأثنى عليه .

وتوفي سنة اثنين وتسعين ومائة وألف بعد أن كان خليفة على خليل رقي لمنصب الباي بالعز والتفضيل 1778م. [2]

ومن أهم غزواته غزوته على أهل الصحراء، ففتح بني الأغواط، وأخضع " مزاب " وقد وقعت هذه الغزوة سنة 1199 ه، وبعدها أقر الباي يتجهز لفتح وهران، الفتح العظيم.

[1] - الداي محمد عثمان باشا توفى سنة 1179 ه، وفي أيامه حرك الإسبان للجزائر خمسمائة مركب وقاتلهم صالح باي وظفر بغنائمهم كما مر وحرك الباي محمد بن عثمان لفتح وهران سنة 1205 فلم يمده بشيء من الجيش إلى أن مات هذا الباشا أثناء الحصار سنة 1205 ه. أنظر دليل الحيران ص 188.

[2] - بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 290.

مدة تواجد الاسبان بوهران:

في مستهل ربيع الثاني سنة 911 ه سقط برج " المرسى الكبير " [1] في أي الإسبانيين، وفي آخر المحرم من سنة 914 ه تم الاستيلاء على مدينة وهران بأكملها، وفي صبيحة يوم الجمعة من السادس والعشري من شهر شوال سنة 1119 ه، فتحها مصطفى أبو الشلاغم باي الإيالة العربية على عهد " محمد بكداش " [2] باشا الجزائر بعد ما مث بها الاسبانيون مائتي عام وخمس سنوات. [3]

بعد هذا كله ردها الاسبانوين سنة 1143 بعد أن مكث المسلمون 24 سنة ويشير " محمد أبو راس المعسكري " في سينيته :

من بعد عشر وعشر وأربعة... عادو إليها فقرت أعين النفس.[4]

استعداد الباي محمد الكبير لفتح وهران:

وفي فاتح صفر سنة 1205 ه قرر محمد الكبير أن يسترد مدينة وهران من الاسبانيين. [5]

---

[1] - المرسى الكبير: يبعد عن وهران بضعة أميال، مسافة 8 كلم، تعرض للاحتلال البرتغالي في 1415 م وطردوا منه 1437 م، واحتلوه من جديد سنة 1471 م وخرجوا منه سنة 1477م ، أنظر رشيد بورويبة: وهران فن وثقافة، د ج ، د ط، وزارة الإعلام، الجزائر، 1983، ص 40.

[2] - الداي محمد بركاش، توفي سنة 1118 ه ، وهو الذي جهز الجيوش لوهران على يد وزيره أوزن حسن وبايه مصطفى أبي الشلاغم إلى أن فتحت عنوة، أنظر دليل الحيران ص 187.

[3] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 19.

[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 20.

[5] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 20.

أرسل إلى الداي " محمد عثمان باشا " يشاوره في الأمر فأذن له بذلك، فأرسل الباي محمد الكبير إلى جميع النواحي " بمعسكر " يخبرهم بما سيفعل.

وقام الباي في ذلك الوقت بشراء الأسلحة، فاشترى من الانجليز عددا من المدافع وكمية كبيرة من البارود والرصاص واشترى سفنا من الافرنج ثم بعث ابن هطال إلى المغرب لشراء السلاح. [1]

وبعثت له قبائل " الزواف " كمية كبيرة من البارود ثم أمر الباي بصنع العربات لجر المدافع وأطلق سراح المسجونين ليكونوا عونا له.[2]

وعندما أرسل كاتبه أحمد بن هطال التلمساني وقائد محلته إلى جبل طارق لشراء الأسلحة والذخائر عبر المغرب، حملهما رسالة إلى السلطان " محمد بن عبد الله " واستوصاه خير بهما، فرعاهما وسهل لهما المهمة، فتمكنا من شراء 250 قنطار بارود وكمية من الأسلحة المختلفة. [3]

وأثناء استعداد محمد الكبير للهجوم على مدينة وهران، إذا بزلزلة تحرك المدينة من أقصاها، فتهدم معظم بنيانها، ولقي عدد كبير من السكان متوفاهم، وامتد تيار هذه الزلزلة إلى مدينة معسكر. [4]

إلا أنها لم تصبها أي خسارة، وكانت هذه الزلزلة التي حدثت بمثابة حافز لمحمد الكبير فتحرك من هناك متوجها لوهران لفتحها.

وفي سنة الست من يد الاسبانيول وكان محاصرا لها، وأطال الحصار عليها، حسى سلمو وخرجوا منها، وجاءت البشائر إلى الجزائر بفتحها، وانتقل الباي محمد إليها وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده ودخل الناس إليها وعمروها، وبنيت بها المساجد.[1]

---

[1] - المرجع نفسه، ص

[2] - المرجع نفسه، ص

[3] - أحمد بن سحنون الراشدي: " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" ، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، مارس 1973، ص 250-251.

- السلطان محمد بن عبد الله: كان هذا السلطان حريصا على تجنيب الجزائر الغارات الاسبانية فزيادة على إخطار الجزائر بالاسعدادات الإسبانية ضدها، كتب رسالته إلى ملك اسبانيا كارلوس الثالث بتاريخ 26 جمادى الثاتيى 1198 (17 ماي 1784) طلب منه تأخير الحملة العسكرية ضد الجزائر حتى يتصل بجواب من الداي وأكد له بأن الجزائر ستبرم الصلح لا محالة، أنظر : مدينة وهران، ص 58.

[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 22.

وفي سنة 1791 تحررت وهران نهائيا من الاسبان وقد توالى على حكم وهران من بعد تحريرها سبعة بايات وهم:

- الباي محمد الكبير من عثمان المعروف بالأكحل بين 1792 – 1799.
- الباي عثمان بن محمد الكبير سنة 1799 – 1802م
- الباي محمد المنزلي بين 1802 – 1805 م.
- الباي محمد القدش بين 1805 – 1807 م.
- الباي مصطفى المنزلي بين 1807 – 1808 م.
- الباي محمد بوكابوس بين 1808 – 1812م.
- الباي باغلي قارة بين 1812 – 1817 م.
- الباي حسن التاجي 1817 – 1830م.[2]

وبعد أن فتح الباي محمد الكبير وهران توجه مباشرة إلى الجزائر وقد استقبله الداي حسين استقبالا عظيما يليق بمقامه ومنه " ريشة الانتصار "، ثم عينه بايا على مدينة وهران، وجميع الإيالة الغربية[3] بما فيها تلمسان والتيطري.[4]

ولم تدخل هذه المدينة في حوزة الجزائريين إلا سنة 1790 م والذي استرجعها من الإسبانيين هو الباي قارة محمد. [5]

---

[1] - أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 63.
يقصد ب (الست) : الستة السادة مطلع القرن الثالث عشر هجري.
[2] - المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حل بوهران، الطبعة الأولى، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص 155.
[3] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 24.
[4] - الإيالة الغربية: بايلك الغرب: يمتد من وراء إقليم التيطري إلى حدود مراكش، يحكمه نائب عن الباشا يحمل لقب باي الغرب ومركزه مدينة مازونة ثم معسكر ثم وهران، أنظر: يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2009، ص 65.
[5] -حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق و تع، وتح محمد الغربي الزبيري، سحب الطباعة الوطنية للجيش، الجزائر، 2007، ص 96.

أعماله وانجازاته:

شهدت الفترة التي حكمها الباي محمد الكبير العديد من الانجازات والأعمال التي قام بها هذا الأخير ومن بين هذه الأعمال التي خلفها والمآثر التي خلدها التاريخ نجد ما يلي:

- اعتناءه بالفقراء والمساكين: وذلك بالقضاء على المجاعة، وكان كذلك يقوم بتوزيع الملابس على الفقراء غير القادرين على شرائها، وخاصة وقت البرد في فصل الشتاء، وكان يداوي بنفسه المرضى الفقراء ويعالجهم ويتألم لوجعهم، وكان يوزع الأموال على الفقراء والطلبة والقائمين على خدمة المساجد في كل مناسة عيد، أو موسم فرح، وكان يبعث كل سنة بهدايا ثمينة إلى الحرمين الشريفين " مكة والمدينة" بعبد خصي لخدمة مسجد المدينة المنورة.[1]

ثم إن الباي بنصر الرحمان، السيد محمد بن عثمان لما استقل بوهران قدمه جمع لسكناها الناس من كل مكان، فبعضهم باع له أماكن وبعضهم أقطع له أمير المؤمنين، وثمن المبيع عمر بن بيت مال المسلمين.[2]

وقد ذكر الشريف الزهار أن الباي عندما يأتي بالدنوش يكون منوقا بتحق وأموال وهداا كثيرة من الخيل العتاق والعيد والمصوغ والأثاث الفاخر محمية بجيش كبير من أتباعه وكبراء النجوع وقواد وآغاوات راكبين الخيل ذات السروج الذهبية وعليهم لباسهم الفاخر. [3]

[1] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 25.
[2] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 201.
[3] - أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 36.

وقد ذكر " تيدنا " في مذكراته أنه كان يشرف أي " الباي " على تصدير الحبوب والصوف والشمع من مستغانم وهو الميناء المهم للبايلك لأن وهران كانت لا تزال في يد الاسبان. [1]

حرصه على الثقافة والمثقفين: كان الباي محمد الكبير محبا للمثقفين ومهتما بهم وكان شديد الاعتناء بالثقافة لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم المؤن وهيأ لهم الوسائل التي تساعدهم على المضي في طلب العلم واكتناز المعرفة. [2]

يحكى أنه لما رفعت له الشكاية بالطبلة وتكررت أمر باخراجهم من وهران لينظر في ذلك، فخرج الطلبة منها وانصرفوا عنها وصار ينظر الطلبة من محلف ... وأمر بردهم لمحلهم فرجعوا ولما استقروا بمواضعهم ذهب لهم على فرسه بشواشه ولما وصلهم دفع لهم مالا كثيرا زيارة وقال لهم: أيها الطلبة اشتغلوا بالقراءة و كفو أنفسكم عن أذية الناس فما في المدينة من يحبكم إلا أنا وآغة الفلاني والنساء.[3]

وقد بنى لهم المدرستين، الأولى بمعسكر، والثانية بوهران[4] وكان يعظم العلماء، فشيد لهم المساجد ورتب لهم مرتبات زيادة على الملح والهدايا والتي يفاجئهم بها بمناسبة الأعياد والأفراح.[5]

وبنى أيضا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا للآن وهو حسن باشا وكل ما صرف عليه هذا الأمير ضمن عند الباشا.[6]

كما بنى الجامع الأعظم بعين البيضاء من بلد المعسكر[7] وقد عرف عن الباي محمد الكبير أنه اعتنى ببناء مشهد الولي محمد بن عودة، والولي أحمد بن يوسف. [8]

اما الشعراء فقد كان يجازيهم أحسن الجزاء ويجير لهم العطاء، ولنذكر من ذلك على سبيل المثال، أنه أهدى إلى الحاج أحمد القرومي مائة محبوب ذهبا، وأعطاه ألبسة تساوي خمسين

---

[1] - عميراوي حميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 91.
[2] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 25.
[3] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 205.
[4] - بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 296.
[5] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 26.
[6] - بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 295-296.
[7] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 204.
[8] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 469.

محبوبا عندما مدحه بقصيدتين أولاهما في تشييده للمسجد الكبير " معسكر " وثانيهما بمناسبة فتحه مدينة الأغواط.[1]

ومن يرجع إلى كل الكتب التي تناولت سيرة هذا الباي يجدها مليئة بالقصائد الشعرية والدليل على ذلك ما ألفه علماء عصره من كتب قيمة تتحدث عن سيرته مثل كتاب " أبي راس المعسكري " [2]عجائر الأسفار، وكذا الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية ل " بن زرقة " [3]وغيرهما.

وكان يمتلك مكتبة ضخمة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات وكان محبا مولعا بالمطالعة وكان أديبا وفقيها.

- إعتناؤه بالتشييد والبناء:

أعاد ترميم وتجديد مدرستين بمدينة تلمسان وأعاد لهما قوتهما العلمية.

أما في الجزائر العاصمة فقد بنى " دار جميلة " وأثثها ثم سلمها لوكلائه وممثله هناك.[4]

كما بنى مدرسة " بخنق النطاح "[5] بوهران والتي بها ضريحه، وتعرف الآن بالمدرسة.

وبنى عام 1792 م الجامع الأعظم المعز وللباشا حسن، كما بنى جامع الكرط[1].

---

[1] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 26.
- الأغواط: فخر من أفخار قبيلة مغراوة، أنظر: إيميل فيليكس غوتييه: ماضي شمال إفريقيا، تع هاشم الحسيني، ط1، الناشر الفرجاني، طرابلس، الغرب، 1970، ص 278.

[2] - محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي توفي سنة 1235. من علماء مدينة المعسكر، أنظر : أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، 82، د ط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 167-165.

[3] - مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زرقة الدحاوي، هو حفيد العالم الجليل عبد الرحمن بن علي المعروف بدحو ابن زرقة، توفي سنة ه1654/1065 م. أنظر درعي فاطمة: العالم مصطفى بن زرقة الدحاوي ورحلته القمرية، الحوار المتوطسي، جامعة معسكر، العدد 14/13، ديسمبر 2016، ص 151.

[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 27.

[5] - خنق النطاح: وهو خنق النطاح وكان يدعى آنذاك برلين الصغيرة Le petit Berlin لأنه لا يقطنه إلا المعمرون الأروبيون الجبابرة، حرمو على إمام المسجد الآذان فيه، أنظر تحي بوعزيز، مدينة وهران، ص 56.

مكانته بين رؤساء الدول:

كان علاقة الباي محمد الكبير مع رؤساء الدول الإسلامية طيبة وحسنة فقد كان يتبادل معهم الهدايا ويغيث كل من يستنجد به ولا يزده خاصة علاقته المميزة مع مصر وتونس والمغرب.

فعندما قدم الزياني استقبله الباي وأكرمه وأحسن نزله، يقول الزياني: " ولما قدمت عليه سألني عن أحوال الغرب ومملكته وعن السلطان مولاي سليمان، وهل هو مثل مولاي يزيد فوصفته بالعلم والدين والعدل". [2]

إن هذه العلاقات الطيبة والصلة الوطيدة بين البلدين والتعاون المثمر والتفاهم هو الذي سمح للسلطان بن عبد الله أن يكون واسطة بين الجزائر واسبانيا، وجعل اسبانيا تلجأ كلما تقعدت علاقتها مع الجزائر[3]. فقد لجأ إلى مدينة معسكر عبد الرحمان ولي العهد ابن مولاي محمد سلطان المغرب فرحب به محمد الكبير واحتفل بمقدمه احتفالا عظيما.

وعد مدة مر بمدينة معسكر مولاي يزيد أخو عبد الرحمان السابق قاصدا بيت الله الحرام فاستقبله محمد الكبير استقبالا حارا. [4]

أوصافه و أخلاقه:

كان رجلا حسيما بالتجدير أسمر [5] ممتلأ الجسم مربوع القد لا بطويل ولا بالقصير[6] محبا للعلماء والصلحاء والنبلاء والأدباء والشجعان والفضلاء، قريب الغضب سريع الرضى شديد الحزم والأوامر والامضاء، كثير الغزو على أهل الصحراء دائم الترحال والايسار [7].

---

[1] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 203 - 204.

[2] -مولاي بالخميسي، الجزائر من خلال رحلات المغربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 181.

[3] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 2019

[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 29.

[5] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 199.

[6] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 30.

[7] - بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 290.

وكان صيادا ماهرا لذلك نجده مولعا بتربية الطيور.

أما فيما يخص نص الرحلة سيتم التطرق إليه في المبحث الثاني من الفصل الأول.

المبحث الأول: عمرانيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

المطلب الأول: في مجال العمران والثقافة

لقد حظي بايلك الغرب خلال فترة حكم الباي محمد الكبير بالاهتمام والعناية ، وتمثل ذلك في بنائه للمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من المؤسسات الثقافية التي تساهم في انجازها وهذا ما سيتم التطرق إليه.

أولا: في مجال العمران:

أ) **المساجد**: وحسبما ذكر ميمون الجزائري في كتابه التحفة المرضية : " أن المساجد[1]، وقد كانت فيما عدا أوقات الصلاة مرتعا لحلقات الدروس اليومية ومحطا لفنون العلوم، التي كانت تدرس لذلك العهد لا سيما في المدن والقرى".[2]

[1] - المساجد، يشتق لفظ مسجد من الفعل (سجد، يسجد، سجودا) وهو كل موضع يتعبد فيه، أنظر: ابن منظور محمد مكرم بن علي، لسان العرب المحيط، الملجد الثاني، بيروت، دار لسان العرب، د س، ص 98.

[2] - بن ميمون، الجزائر، المصدر السابق، ص 57.

ب) وكان أول حدث حصل للمسلمين من تلك الأبراج فلذلك أمر بهدمها وبنى بالموضع الذي وقف به فرسه عند الباب للمواقف مسجدا لصلاة الخمس والجمعة ويعرف للناس بجامع بالناصف.[1]

والمعروف أن الباي محمد الكبير قد شيد مسجده الأعظم بمعسكر ولعله هو المعروف بجامع عين البيضاء.[2] وقد شيده الباي محمد الكبير بحاضرة معسكر[3].

وقال السيد أحمد بن السيد محمد بن علال[4] فقال في هذا الجامع قصيدة عزاء تؤنس في ليلة العزاء وهي:

لما التقيت بوافد الحسن البهى يزجي المطايا مغربا في عسكر

خاطبته أين المسير فإنني أبصرت ماأدهى وأدهش منظري

فأجابني بلسان طلق ناطقا اسمع مقالي وعي دقائق مخبر

ألق العصا وأفك رحل ركائبي بالمسجد المنشى بأم العسكر

المحكم التشييد في شرفاته فتراه يخطف أعينا للنظر[5]

فكانت معسكر مثلا منبع علم التوحيد باعتراف علماء من بينهم الشيخ أحمد المقري، الذي قال في " حاشيته على صغرى السنوسي " بأنه سنده في علم التوحيد يتصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشأن. [6]

---

[1] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 202.

[2] - أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص 250.

[3] - محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 267.

[4] - هو أحد أفراد أسرة المقري التلمسانيين ومنهم مادح الباي هذا. أنظر: بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 130.

[5] - بن سحنون الراشدي،نفسه.

[6] - بكاري عبد القادر، الاسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية " أبو راس الناصري أنموذجا "، جامعة تيارت، ص 122.

وكذلك قام ببناء:

جامع الباي: الذي بناه الباي محمد الكبير عام 1793 م ليكون بمثابة مقبرة له ولأهله عند موتهم، وكذلك لتخطيط توسيع وهران آنذاك حيث أنه أوصل القنوات وتوزيع الأراضي لإعمار وهران الجديدة المطلة على واجهة البحرfront de mer ، فقد شيد المسجد الذي يحمل اسمه " جامع محمد الكبير " وقد نال هذا المسجد اعجابا كبيرا من الجمهور، فراح الشعراء يتغنون به ويترنمون بزخارف جماله وينشدون قصادئهم الرنانة فيه:

المحكم التشييد في شرفاته فتراه يحسن كالرياض الممطر [1]

وبنفس النظام تم تركيب ريشتي منبر جامع الباي بعناية[2]

أنظر الملحق رقم ( ).[3]

وقد أسس الباي محمد بن عثمان الكبير هذا المسجد على أرضية منبسطة مائلة في أسفل سفح جبل المايدة الذي يدعى حاليا بجل مرجاجو،جبل سيدي عبد القادر، وكان يدعى بجبال سيدي هيدور، نسبة إلى الشيخ سيدي هيدور أحد علماء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).[4]

وكذلك بنى الجامع الأعظم (جامع الباشا) أواخر الفترة العثمانية كما تشير إلى ذلك اللوحة التأسيسية التي تتقدم مدخل الجامع ونطالع فيه النص التالي:

بسم الله الرحمان الرحيم

مسجد الباشا أسس بأمر من سيدي حسن باشا 1792 م وقد تم إنشاؤه بعد الفتح الثاني لوهران سنة 1207 ه / 1792 م، وهو مسجد جامع كما تثبت إحدى اللوحات التأسيسية المحفوظة بمتحف وهران، وهي لوحة تذكارية منقوشة على الحجر، ويعتبر من المساجد العثمانية القليلة التي سلمت من أيدي الاستعمار الفرنسي التخريبية أو التحويل إلى كنيسة.[5]

---

[1] - المهدي بن شهرة، مرجع سابق، ص 166.

[2] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 28.

[3] - خيرة بن بلة، منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني- دارسة أثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، 13، ص 160.

[4] -يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص 47.

[5] - عبد الكريم عزوق، تطور المآذن في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص 102.

ويقع هذا الجامع قرب القصر الأحمر الذي أسس في العصر الوسيط، وهو محصور بين شارعي بن عمارة وبو بحنبل وقريب من بلدية وهران، وبني سنة 1210 ه / 1795 م، أنظر الملحق رقم ( ). [1]

وقد قام الباي محمد الكبير أيضا ببناء الجامع العتيق الذي شيده والده عثمان سنة 1761 م، وذلك بغية توسيع مساحته، وقام ببناء خمسة أحواض للوضوء به واستبدل منبره بمنبر أحسن من ذي قبل، وهو المسمى حاليا بمسجد حسن الذي تمت مبايعة الأمير عبد القادر فيه كقائد للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.[2]

كما بنى جامع الكرط[3] ووسع جامع السوق بمعسكر، وزاد فيه رواقين من الأمام وجدد الجامع العتيق، ووسع مساحته وجلب إليه المياه[4]، وتشير بعض الكتابات التاريخية على قلتها إلى مصادر تمويل المساجد في بالك الغرب.

وفي هذا الاطار يعد الباي محمد الكبير نموذجا بارزا في هذا المجال فقد كان من محبي العلم والتعليم، حيث خصص أهمية كبرى للمنشآت الدينية والتعليمية خلال فترة حكمه، فأقام العديد من المساجد وحبس عليها أوقافا كثيرة، كما هو الحال بالنسبة لجامعه الأعظم بعين البيضاء الذي كانه تحفة معمارية متميزة. [5]

ويقول ابن سحنون في كتابه الثغر الجماني " ... وبنى الفندق الجديد الرائق بالسوق القديم وزاده في أحباس الجامع الأكبر لما زاد فيه من الوظائف، وله في تلمسان ومستغانم و الجزائر وغيرها مباني كثيرة وآثار في ذلك شهيرة بين مساجد ومشاهد ومدارس بل وحتى في الصلوات الحالية والطرق المعطشة المقفرة لا يخلو سائر من رؤية آثاره ومآثره.[6]

ب/ المدارس:

---

[1] - خيرة بن بلة، مرجع سابق، ص 159

[2] - يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 213-214.

[3] - آغا بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 296.

[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 28.

[5] - سعدية رقاء، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700 – 1830 م)، أطروحة دكتوراه في العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصور الوسطى والحديثة، م، جامعة أحمد بن بلة وهران،2019/2018، ص 205

[6] - بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 133.

فالمؤسسات التعليمية كانت تقوم على الكتاتيب والمدارس والمساجد والمعمرات والخلوات والزوايا والتي كانت تنتشر في المدن والريف.[1] وقد كان الباي محمد الكبير محبا للعلماء، والصلحاء والنبلاء و الأدباء.[2] فقد بنى المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه، وتعرف للآن بالمدرسة. [3]

وهي من أهم المدارس التي بناها الباي محمد بن عثمان الكبير بالغرب الجزائري ب " خنق النطاح " سنة 1207 – 1208 ه / 1793م والتي تعرف في وقتنا الحاضر ب " جامع الباي "، وتعتبر كذلك من أبرز المدارس العلمية في وقتها، حيث كانت تضم أساتذة أكفاء، ولذلك لا غرابة أن تعض بطلبة العلم والمعرفة.[4]

" ومن أعظم مآثره وإن كان كلها عظيمة – أنه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا بخطة أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وشرحت لها النفوس وكثر طلبة العلم وتشوق كل أحد للتدريس واشتد الحرص على العلم.."[5]

وجدد كذلك بناء مدرستين بتلمسان وأرجع إليهما رونقهما وأعاد لهما حبسها القديم، وزاد عليه فأخذت المدرستان تستعيدان قوتهما العلمية، من حيث الدراسات الدينية والأدبية، بعدما فقدتهما مدة طويلة.[6] وكان الباي محمد الكبير " محبا للطلبة ولذلك بنى لهم المدرسة..." [7]

وقد استطاع الباي بفضل سياسته الرشيدة في دعوة الطلبة إلى التجمد في رباطات وهران، فإنه أصدر مجموعة من القرارات تصب في هذا الإطار، ومنها أنه منع التدريس في الحضر والبدو وجعله يقتصر على الرباط، وقد شارك الطلبة، إلى جانب شيوخهم في معارك تحرير

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرني العاشر إلى الرابع عشر الهجري، (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حولية الأدب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، كلية الآداب ، جامعة الكويت، 2010م، ص 72.

[2] - آغا بن عودة، مصدر سابق، ص 290

[3] - يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 203

[4] -عبد الحق شرف، تراجم لبعض علماء مدرسة الباي بوهران، من خلال بعض الآثار المخطوطة، المجلة الجزائرية، المخطوطات، ص 75

[5] -بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 135.

[6] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 28.

[7] - بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 203

وهران، يدفعهم إلى ذلك روح الجهاد وحب الشهادة في سبيل الله. [1]، وما كان للباي أن يفتح وهران ويدخلها منتصرا في يوم 28.02.1792 على رأس جيش من الطلبة وهم يحملون المصاحف في أيدهم، لولا الروح الجهادية المستمدة من القرآن الكريم الذي كانت لآياته الشريفة أشد الوقع والتأثير عليه، وتلك صورة حية ونموذجية لجيل المثقفين الجزائريين في ذلك العصر ممن يجب الاقتداء بهم في الذود عن الوطن وحرمة الدين، وصفحة مشرقة عن فضائل طلبة العلم وحمله القرآن الكريم وعن قوة إيمانهم في الدفاع عن الوطن. [2]

وقد أمر الله عز وجل وحث المسلمين بالمرابطة فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " الآية 200 سورة آل عمران.[3]

الزوايا:

من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا ونحوها) المخصصة لها.

وكان بناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المسجد و المدرسة، فالزاوية غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، وهي في الجملة قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات، قليلة النوافذ.[4] ، " وبنى مشهد الولي الصالح الذي اشتهرت ولايته في البلاد، حتى أمته الزوار من كل واد، ذي الكرامات المتصلة على ممر الأحيان، و البركات التي شهر بها العيان والفضائل المشهودة السيد محمد بن عودة نفعنا الله به وجعلنا من المتعلقين بسببه بناء عجيبا زيد به الضريح بها، وقاد له الزوار قهرا، وقد كان بنى مشهد الولي الأجل السيد أحمد بن يوسف دفين مليانة..."[5]

وإلى جانب هذه المعالم، أقدم الباي عثمان بن محمد الكبير العديد من المباني، وتولى تمويلها المالي، فقد ذكرت المصادر التاريخية معلومات هامة، حول شغف وولع هذا الباي بالعمران والمباني، فقام ببناء القصور والمنازل الجميلة، وقد قام الباي محمد الكبير بتأسيس وبناء

---

[1] - محمد بوشنافي، " دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الاسباني عام 1791 من خلال مصادر معاصر "، عصور جديدة، العدد 1، 2011، ص 89-91.

[2] - بن داهة عدة، مرجع سابق، ص 91-92.

[3] - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 200.

[4] - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 262 – 269.

[5] -ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 132.

زاوية منها الزاوية الموجودة في مليانة زاوية سيدي أحمد بن يوسف والذي يعتبر أحد علماء المتصوفة المشهورين في الجزائر والمغرب الأقصى.[1]

المطلب الثاني: اهتمامه بالجانب الإجتماعي

من أهم الأعمال التي شهدت له هو اعتناؤه بالفقراء والمساكين وبالأخص أيام المجاعة، فالجزائر عرفت انتشار الأوبة سنوات 1792 – 1799 م ، وكذلك عم القحط و تعرض الناس للمجاعة في سنوات 1796م. [2]

فقد قام الباي محمد الكبير بطرد المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها وتفريقها عل المحتاجين عند الحاجة، وكان طباخوا قصره ب " معسكر " رهن إشارة الفقراء والجائعين وكان يوزع بنفسه الألبسة على العراة من الرعية لا سيما وقت الشتاء.

وكان يداوي بنفسه المرضى والفقراء ويعالجهم ويتألم لوجعهم وكان يوزع الأموال على الفقراء والطلبة القائمين على خدمة المساجد في كل مناسبة عيد أو موسم أو فرح، وكان يبعث في كل سنة بهدايا ثمينة إلى الحرمين الشريفين " مكة والمدينة " مصحوبة بعبد خصي لخدمة مسجد المدينة المنورة.[3]

" ما كادت الجزائر تنتهي وتستريح من ويلات الحرب المخزنة حتى فاجأها الجدب وخيم على ربوعها القحط المنتشر وأخذت الجزائر تعاني أزمة المجاعة وارتفاع الأسعار وغلاء المعاشي غلاءا فاحشا مبلغ يومئذ سعر الصاع الجزائري – وهو يزن 34 كيلو تقريبا من البر – أي 80 و 74 فرنكا فمات الناس جوعا واستمد الحال على ذلك بضع سنين، وكان

---

[1] - سعدية رقاء، مرجع سابق، ص 221، ص 104.
[2] - ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 48.
[3] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 25.

محمد الكبير باي وهران يأتي بالقمح من بلاد أوروبا ويوزعه على الأهالي مجانا وأفعى المزارعين والفلاحين من دفع الضرائب والخراج عن أراضيهم.[1]

وقد جاء في كتاب " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " أن " بعض الطلبة المظنون بهم الخير، رأى قبل الطاعون بكثير كأنه بمحل أنيق فيه عزف اثنتان مفتوحتان والثالثة مغلقة فسأل رجلا حسن اللون رآه بقربهما لمن هي؟ فقال إنها لمحمد باي/ أما المفتوحتان فإحداهما فتحت له بإطعامه الفقراء في المسبغة والأخرى ببنائه المسجد والمدرسة والأخرى لا تفتح له حتى يفتح وهران ان شاء الله.[2]

وفي هذه الآونة (1201 ه / 1786 م) انتشر مرض الوباء بالمغرب انتشارا فاحشا، فشمل شرق الجزائر وهو ما اشتهر بين الناس يومئذ " حبوبة الأمجاد " فبلغ عدد الوفيات يوميا نحو الخمسمائة نسمة... واستمر هذا الوباء يرتاد الجزائر في كل سنة إلى عام 1211 ه / 1796 م، فازداد فيه مفعوله بين الناس حتى أنه بلغ عدد الهلكى بالعاصمة 14334 نسمة، منهم 1744 يهوديا و 613 نصرانيا، ويقال أن ذلك نشأ عن عدوى تسربت إلى الجزائر بواسطة رجل مريض يدعى " ابن سماية " قدم على ظهر مركب جاء من أرض الروم... "[3]

المطلب الثالث: في المجال الاقتصادي:

ما ميز الباي محمد الكبير في المجال الاقتصادي هو سياسته التي كان ينتهجها عند حدوث الأزمات، وكان له دور في استقرار الأسعار وكسر الاحتكار من أجل استقرار تلك الأسعار في السوق.

كما ذكر ابن سحنون الراشدي " ... وأكبر من ذلك أنه كان يسأل عن سعر السوق فيبيع زرعه بأبخس منه خوفا من زيادة السعر، فإذا انخفض سعر السوق إلى سعره نزل هو بسعره

---

[1] - عبد الرحمان بن محد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، دط، شركة دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 263-264.
[2] - ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 207.
[3] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ص 265.

وهكذا أوحي على نفسه البيع في كل بلد على هذا الوجه حتى ارتفع القحط فشملت بذلك صدقته الغني والفقير والقريب والبعيد ..." [1]

وقد كان كل بايلك قائم على نظام عشائري الذي كان سائدا آنذاك بحيث يكون رئيس القبيلة أو العشيرة واسطة بين قومه والباي كما يكون الباي نفسه واسطة بين الباشا بالجزائر وبين هؤلاء الرؤساء في بايلكه.[2]

أما فيما يخص استخلاص الضرائب: الحلفاء يأتون في آخر الربيع فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة و الأعشار. وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين

فأما محلة الغرب فتخرج في أبريل وتقيم أربعة شهور.[3]

وفي حديثنا على المحلة الباي محمد الكبير أمر ابنه السيد عثمان، فأمره أن يقوم بأمور " المحلة " ويسير بها رائدا من غير عجلة.[4]

أما إذا تحدثنا عن التجارة فسنتحدث على وهران فوضعها الجغرافي جعل من سكانها تجارا وذلك لما في التجارة من منافع و لأن الباي مهتم بها. ويأخذ الباي من التجار رسما مقداره 5 بالمائرة من السلع، ويبيع هذه البضائع إلى السكان نقدا أو مقابل حبوب ومواشي كالأبقاء والأغنام، وبهذه الحالة يكون هو أيضا تاجرا.

إن الدارهم متوفرة والفلاحة مزدهة والبلاد في رخاء.[5]

فمن العملات الذهبية : السلطاني ونصفه وربعه والمحبوب ونصفه وربعه.

ومن العملات النحاسية: الصائمة وريال بسيطة وبعض قطع أخرى أقل منها أهمية.

- ومن العملات الفضية: الدور الجزائري وريال بوجو، وريال درهم، ونصف ريال درهم وثمن بوجو والموزونة.[1]

---

[1] - ابن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 135 - 136.
[2] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص 65.
[3] - أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35
[4] - أحمد ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 42.
[5] - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 96 – 97.

- أما الزكاة والعشور التي يدفعها البايات عن أوطانهم فباي الغرب يدفع عشرة الآلاف صاع قمحا، ومثلها شعيرا ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو ألفي صاع قمحا ومثلها شعيرا، والغنم ستة آلاف رأس، ويوزع أيضا على أصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة (أفريل / سبتمبر).
ويعطي العوائد في العيد الصغير والكبير وعاشوراء، والمولد النبوي الشريف للأمير ووزرائه.[2]
- وقد ذكر تيدنا أنه كان يشرف على تصدير الحبوب والصوف و الشمع من مستغانم وهو ميناء مهم لدى البايلك لأن وهران كانت لا تزال في يد الإسبان وذكر أنه في بعض السنوات كانت تصل الشحنات المصدرة إلى عشرة مراكب فرنسية و إنجليزية.[3]

وأنجز الباي محمد الكبير أعمالا أخرى في مجال البناء، وشق الطرقات والقنوات وأيضا الأسواق، وقد تحدث ابن سحنون الراشدي:" وأما تدويخه للبلاء وإقامته أسواق الجلاد، فأمر به اشتهر وخص من بين البشر قد شهد به الرعاع والأعيان، وصدقهم عليهم شاهد العيان... حتى صارت مستراحا للقوافل والسفار، ويستريحون في رياضها من أعباء الأسفار، فإنهم يأتون من المشرق والمغرب".[4]

أما فيما يخص علاقة الجزائر مع اسبانيا بعد أن تحقق الصلح بين الطرفين الذي أبرم يوم 15 جوان 1785م والذي التزمت فيه اسبانيا بأن تدفع مبلغا ماليا للجزائر، غير أنها لم تنفذ ما التزمت به لأنها كانت تطمح إلى الحصول على امتيازات اقتصادية أكثر فائدة لها بعد أن تأكدت من انسحابها من وهران والمرسى الكبير.[5]

فقد كان الهدوء الذي عرفته الجزائر في منتصف القرن 18م راجع إلى الانتعاش الاقتصادي وكان سببا رئيسيا في استقرار نظام الحكم فلم تعرف الإيالة سوى أربعة دايات في مدة تعادل خمسين سنة وذلك في الفترة بين (1748 – 1795 م).

---

[1] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 66.
[2] - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.
[3] - اعميراوي احميدة، المرجع السابق، ص 92.
[4] - بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 136
[5] - يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 59.

- محمد بكري داي (1748 – 1754 م)
- بابا علي داي (1754 – 1766 م)
- محمد بن عثمان داي (1766 – 1791 م)
- حسن داي (1791 – 1798 م) [1]

المبحث الثاني: أهم انجازاته عسكريا

المطلب الأول: استعدادات الباي لتحرير وهران

شهدت نهاية القرن 18 م أحداثا عديدة ومهمة غيرت مجرى التاريخ ومن بين أبرز هذه الأحداث هو تحرير وهران 1792 على يد الباي محمد الكبير وقد بدأت محاولات تحريرها منذ بدايات القرن 16م حتى أواخر القرن 18 م.

1) محاولة صالح رايس سنة 1556 م.

2) محاولة حسن باشا سنة 1563م.

3) محاولة سنة 1642 م ومحاولة أخرى سنة 1675 م.

[1] - جنيفي هلايلي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، جامعة سيدي بلعباس، دمط، دن، دع، دس، ص 199.

4) محاولة الباي 1686 م.

ورغم كل هذه المحاولات ضلت وهران تحت الهيمنة الإسبانية التي غيرت معالمها الإسلامية، وأصبحت بعد الاحتلال الإسباني لها عبارة عن مدينة ذات طراز مسيحي في شمال إفريقيا وفشلت كل محاولات الجزائر في استرجاعها وإعادتها إلى أصالتها العربية الإسلامية.[1]

إلى أن جاء الداي محمد بكداش سنة 1118 ه، 1707 م وأول شيء بادر به هذا الباي إرسال جيش بقيادة صهره " أوزن حسن " لفتح مدينة وهران التي بقيت تحت سلطة الاسبان مدة خمسة ومئتي سنة.[2] وبدأ الهجوم يوم 8 سبتمبر 1707م وتصدى له الإسبان بتصميم قوي.[3]

- يعتبر عهد الباي بوشلاغم أول فترة تاريخية يعرف فيها بايلك الغرب تحرره التام لجميع أراضيه وذلك منذ مطلع القرن 16 وتاريخ احتلال وهران من قبل الإسبان، هكذا تولى الباي سيادة البايلك بأكمله في هذه المرحلة (1708 – 1732).[4]

وعقب فتح وهران سجل الشعر الجزائري العديد من القصائد تخليدا لهذا الفتح فمن قصيدة للشيخ أبو زيد عبد الرحمن التلمساني..

وقل "وهران" يهنيك افتكاك وانقاذ من الأسر الشديد

لك البشرى وللإسلام أخرى بمنعك من يد الكفر العنيد.[5]

ليتم إعادة احتلالها مرة أخرى سنة 1732م.

فبقيت وهران والمرسى الكبير تحت حصار ضيق، ومعارك تكاد تكون مستمرة ومتوالية [6] إلى أن تم فتحها على يد الباي محمد بن عثمان.

---

[1] - دغموش كاميلية، مرجع سابق، ص 136

[2] - محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص 29-30.

[3] - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، ط1، إنجاز دار الأمة ، الجزائر، 2011، ص 403.

[4] - دغموش كاميلية، مرجع سابق، ص 141

[5] - أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 466.

[6] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 448.

ثم أخذ الباي يتهيأ لفتح مدينة وهران واسترجاعها من الإسبانيين بعدما أخذوها قهرا من الزيانيين.[1]

وقد أبدى خليفة باي الغرب الجزائري الباي محمد الكبير في محاربة الإسبانيين وقد وصفه ابن رقية التلمساني في كتاب " الزهرة النائرة " فقال: "... ولأن الخليفة كان ذا شجاعة عارفا بمكائد الحرب ومقتحما لأهواله، شديد البأس، له جرأة على الإقدام على العدو..." [2]

فقد جعل الباي محمد بن عثمان أمر تحرير وهران والمرسى الكبير قضيته الأولى فأكثر من شن الغارات والهجومات على الإسبان وعلى أعوانهم.[3]

وعندما كان يستعد الباي محمد الكبير لفتح وهران وجه كاتبه أحمد بن هطال إلى سلطان المغرب الأقصى ليسمح بإحضار ما يحتاج إليه الباي من أسلحة حربية ومن هناك توجه أحمد بن هطال إلى جبل طارق حيث وجد في انتظاره قنطارين نصف قنطار من البارود قد اشتراها الباي من الانجليز، فخبأها وعاد بها إلى بلاده.[4]

وكذلك كان من بين أهم الاستعدادات التي قام بها الباي لفتح وهران أن أحيى الرباطات الطلابية فكان للطلبة دورا في تحرير وهران من الاحتلال الإسباني عام 1791م.

ولكن قبل أن يعتمد الباي على الطلبة في الرباط، كان يقصد ضواحي وهران سنويا، فيرابط لمدة يوم أو يومين ولكن دون أن يلاقي الإسبان وهي عادة تعود عليها بايات كانت لا تزال قضيتهم الأساسية.[5]

---

[1] - ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 19.

[2] - ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تح سليم بابا عمر، نشر بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، 1967، ص 26.

[3] - يحيى بوعزيز، مدينة وهران، مرجع سابق، ص 59.

[4] - ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 15.

[5] - محمد بوشنافي، مرجع سابق، ص 87.

وصرف الباي جهوده لإصلاح الطرق التي تمر بها العربات، وحتى يكون النصر حليفه اهتم بجمع الرصاص والبارود وكور المدافع كما أنه إلى جانب الأسلحة وزع على الطلبة نحو ألف سيف، وعندما طلبو المدد زودهم بثمانين مكحلة.[1]

ويقول التقرير الرسمي العثماني عن الاستعداد من الجهة الجزائرية: أن توزيع الجيش كان كما يلي:

- قسم انضم إلى مجلة السيد الخزناجي (وزير المالية) وكان مركزه بعين الربط.[2]
- وقسم آخر عزز القوة التي يقودها آغا العرب وكان مركزه وادي خنيس.[3]

وقسم آخر تحت قيادة خوجة الخيل وكانت محلته تحرس باب الوادي، وجاي باي الشرق صالح باي على رأس جيوشه فخيم على وادي الحراش، وباي التيطري معه بعض القبائل وفرسان ناحية سيباو.[4]

في حين شرع محمد بن عثمان في إثبات قدرته وتمكن بفضل حنكته العسكرية وخبرته العربي أن يظفر بثقة جيشه وديوانه وقبائل الغرب الجزائري والحكم المركزي ويحقق انتصارات ضد العدو الإسباني و أعوانه[5]، أما الاستعدادات الإسبانية فقد أخذت تعد العدة، وتجمع الأسطول بمنازلة مدينة الجزائر مرة أخرى فقد كانت الحملة تشمل:

22600 رجل مقاتل، ومعهم مائة مدفع ضخم لحصار المدينة.[6]

---

[1] - بن داهة، مرجع سابق، ص 91.

[2] - عين الربط (الحي الذي يدعى اليوم بساحة المناورات بين مدينة الجزائر وحي بيلكور) أنظر: أحمد توفيق المدني حرب الثلاثمائة سنة، ص 490.

[3] - وادي خنيس اخرجي العناصر، حيث حديقة التجارب، أنظر: نفسه

[4] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، نفسه.

[5] - دغموش كاميليا، مرجع سابق، ص 150.

[6] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، المرجع نفس، ص 485..

المطلب الثاني: الفتح النهائي لوهران 1792 م

مرت عملية فتح وهران بمراحل فقد كانت بدايتها الأولى من (1780 – 1789) فقد استمر هذا الباي محاصرا للمدينة إلى أن تمكن قطع مجرى الماء الذي يسقي المدينة يوم 14 سبتمبر 1784، ثم هاجم يوم 26 سبتمبر حصون المدينة واحتل البرج الأحمر.[1]

وقد شنت اسبانيا على الجزائر حملة في نفس السنة لكنها باءت بالفشل ولم تستطيع اسبانيا تحقيق أي أهداف لها، حيث تكبدت خسائر فادحة.[2]

وفي 26 سبتمبر حاول الباي محمد الكبير تحرير وهران حيث قام بمحاصرتها والتضييق على الإسبانيين في أبراجهم[3]، دون أن يوفق في فتحها، وفي المقابل شن الإسبان حملات عسكرية على مدينة الجزائر لكنها لم تحقق أي نتائج.[4]

واضطرت اسبانيا في الحملة الأخير أن ترضخ لشروط الجزائر القاضية بانسحابها دون قيد أو شرط ولكنها ضلت تراوغ عساها تحصل على بعض الامتيازات بدون جدوى.[5]

---

[1] - عثمان سعدي، مرجع سابق، ص 114 – 115.

[2] - حمدان بن عثمان خوجة، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، تع: محمد بن عبد الكريم (دح)، (دط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع (دس)، بيروت، ص 15.

[3] - عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا (تر) : علي عام (دح)، (ط1)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 م ، ص 538 – 539.

[4] - دغموش كاميليا، المرجع السابق، ص 150.

[5] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 53.

ورغم تعدد الرفض الذي وقع من الحكومة الجزائرية فإن اسبانيا استمرت في إلحاحها في مطالبها هذه إلى عهد باب حسن داي.

وأن أول ما باشره الداي أنه أمر بغزو وهران وفتحها وإزالة الحكم الأجنبي عنها وإعادتها إلى دار الإسلام فغزاها الباي محمد الكبير مرتين (1194 ه – 1198 ه / 1784- 1780 م)، وخاب فيهما معا بسب معاكسات جوية وتغير أحوال الطقس واشتداد العواصف وتوالي الزلازل بها. [1]

زلزال وهران:

في ليلة 8- 9 أكتوبر 1790 م وقبل الواحدة ليلا ضربت 22 هزة أرضية متتابعة مدينة وهران، وتهدم عدد كبير من البنايات وفي أقل من 7 دقائق كان هناك 3000 شخصا تحت الردم، تداولت الهزات إلى 22 نوفمبر 1790.[2]

وقبل حدوث هذا الزلزال هبت عاصفة هوجاء.[3]

وبالطبع فإن هذا الزلزال حطم معنويات الاسبان ونال من مركزهم وقوتهم فاستغل محمد بن عثمان الفرصة، وجمع ما أمكن من الرجال والعتاد وزحف على وهران وضيق على من بقي بها من الإسبان وعددهم لا يزيد على 1526 شخصا، وتواصلت المعارك طوالف صيف وخريف عام 1791 م .[4]

رغم أن الإسبان تلقوا مددا من بلادهم تمثل في 70 ألف رجل وخاضو معركة يومي 3 و 9 ماي و5 جويلية.

وتقدموا وهم يحتلون مواقع تضيق الخناق على الاسبان الذين كانوا يقاومون ببسالة نادرة.[5]

وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة، قام بها جيش الباي في غضون أسبوعين فقرر الباي أن يبقي جشيه محاصرا للبلاد، وفي أثناءهذا الحصار توفي داي الجزائر محمد عثمان

---

[1] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (ج3)، مصدر سابق، ص 270.
[2] - المهدي بن شهرة، مرجع سابق، ص 151.
[3] - دغموش كاميلية، مرجع سابق، ص 154.
[4] - يحيى بوعزيز، مدينة وهران، مرجع سابق، ص 62.
[5] - عثمان سعدي، مرجع سابق، ص 415.

باشا فخلفه حسن الخزناجي، وقد دام هذا الحصار إلى أول محرم سنة 1206ه، حيث رفع بسبب إبرام صلح بين داي الجزائر وسلطان الإسبان يتضمن الشروط التالية:[1]

- فكان ما اتفقوا عليه أن يتركوا بها جميع ما أخذوه من آلات المسلمين زمن أبي الشلاغم، وكان عدد ذلك ما ينيف على مائة مدفع.[2]
- تنسحب اسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط[3]
- وشرعت منذ 1791 م في إجلاء قواتها وخرجت منها ومن المرسى الكبير نهائيا في فيفري 1792م.[4]
- يسمح للإسبان أن تبني مؤسسة قرب المرسى الكبير بشرط أن يدفع مقابل ذلك مائة وعشرين ألف من الفرنكات بالصرف الفرنسي.[5]
- ترسل للسلطان العثماني مفتاحين ذهبيتين للمدينتينة وقلة منا مائهما.
- تسمح لها أن تصطاد المرجان في السواحل الغربية.[6]
- أن يكون لإسبانيا مركز تجاري في بلدة جامع الغزوات.
- أن تشتري من الجزائر 3000 كيلة من القمح سنويا. [7]
- تدفع إسبانيا لخزينة الجزائر سنويا مقدار 12000 فرنك أي 240000 ألف دينار جزائري.[8]
- ومتى أرسلت سفينة في وهران دفعوا عنها خمسة وخمسين ريالا، أربعون لبيت المال والباقي لقائد المرسى.[9]
- وابتدأ إنسحاب الإسبان من وهران يوم 17 ديسمبر 1791م وتم الجلاء نهائيا ولسمت المدينة للباي الذي دخلها على رأس المجاهدين دخول الفاتح المنتصر يوم 24 فيفري 1792م.[10]

---

[1] - ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 22.
[2] - بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 309
[3] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 526.
[4] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 53.
[5] - ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 22-23.
[6] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 63.
[7] - عثمان سعدي، مرجع سابق، ص 416
[8] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة، مرجع سابق، ص 526.
[9] - بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 309
[10] - دغموش كاميلية، مرجع سابق، ص 163.

- ثم إن وهران لما من الله تعالى بمنه وفضله على المسلمين بفتحها من الإسبانيين بالبيان على يد الأمير المؤيد بنصر الله السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان طر خبرها للمشارق والمغرب وحصل السرور للمسلمين الأباعد والأقارب واستبشروا بالفوز والربح " وقالو الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ". [1]

وفي قول ابن سحنون الراشدي لما بلغتهم تلك الأخبار حول فتح وتحرير وهران فقد نظم قصيدة مثال فيها:

أرجى الفتح بالبسيطة فاح وكسى النصر بالبهاء البطاحا

وغذى واجس الظنون يقينا مذ بدى لألأ الهدى وألاحا

وأتى وافد السرور حثيثا فأفاد ذوى الهموم ارتياحا

يا بشير السرور يا الله زدني خبرا أنني أزيد اقتراحا

اسقني مثل ما سقيت جميع الناس من علمك اليقين قراحا

كيف سلم ذاته الكفر وهران إذا شاهد الهلال صراحا[2]

المطلب الثالث: وفاته

وتوفي عثمان بمدينة " معسكر " [3] وقد روى الحاج الشريف الزهار قصة وفاته "... فقدم الباي محمد بعد فتح وهران بأيام، كما هي العادة فلما أكمل أيام الضيافة بعد الثمانية، خرج من الجزائر مكرما على أحسن حال، فلما وصل إلى السائل بن خضرة كبير أولاد قصير، وهي قبيلة كبيرة ، قريبة من قرية مازونة، توفي الباي هناك،

[1] - بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 266.
[2] - بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص 312.
[3] - ابن هطال التلمساني، مصدر سابق، ص 17.

وحمله أولاده ميتا إلى وهران، وقيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما.

وقيل أيضا أنه مات فجأة لأنه مات من غير مرض..." [1]

وتوفي الباي محمد الكبير بعد سنوات من فتح وهران في ذو القعدة 1170 ه وعندما وصل جز موته أوصى بدفنه بالموضع المسمى بخنق النطاح، ليكون مقبرة للباي محمد بن عثمان عام 1799م.[2]

يمكن القول في الأخير أن الباي محمد الكبير قام بالعديد من الأعمال والانجازات وفي مختلف الجوانب والمجالات، لكن يبقى تحرير وهران من قبضة الإسبان أهم عمل قام به الباي، فبفضله أصبحت وهران عاصمة بايلك الغرب، حيث بلغت في عهده أقصى اتساعها.

[1] - أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 63.
[2] - يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 52.